ثروت الخرباوى

تجربة شخصية

قلب الإخوان

محاكم تفتيش الجماعة

قلب الإخوان
محاكم تفتش الجماعة

ثروت الخرباوى

تجربة شخصية

دار الهلال

رقم الإيداع
٢٠١٠/١٣٩١٥
IS.B.N
977-07-1413-5

كان هذا الكتاب مفاجأة بالنسبة لنا ، فحين قرأناه أدركنا أننا أمام ثروة من الأسرار الإخوانية المذهلة. ومن ينقلها لنا غير ثروت ؟. حيث أورد الكاتب حقائق ووقائع من "قلب الإخوان" حقائق غائبة عن جماعة الإخوان غابت عنها فغابت عنا ولم يعرفها الرأي العام ، ووقائع رهيبة تدور حوادثها داخل هذه الجماعة التي تحولت من جماعة دعوية إلى جماعة سياسية ثم انتهت إلى معبد كهنوتي فكان رجال المعبد القطبي. نسبة إلى سيد قطب. كما يقول الكاتب هم السبب الفاعل في "قلب الإخوان" إلى وجهة أخرى لم تكن من أهداف مؤسس الجماعة حسن البنا .

أما المفاجأة الأخرى فكانت في الطريقة التي صاغ بها المؤلف كتابه ، فقد استطاع بحسه الأدبي الراقي أن يحول أحداثا قد تبدو جامدة إلى حياة صاخبة مشوقة ممتعة حتى أن القارىء ليتفاعل معها ومعه في كل حدث مر به أو عليه ، سرد الكاتب تجربته مع الإخوان في صورة أدبية بديعة ومشوقة هي أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية وحول تلك السنوات التي قضاها في جماعة الإخوان إلى نص أدبي وسياسي واجتماعي في آن واحد جمع فيه بين الأدب المتمثل في لغته الراقية وصياغته المحكمة ، كما عرفنا من خلاله ما يدور داخل أروقة أخطر جماعة سياسية مرت على مصر في الحقب الأخيرة ومدى تأثير هذه الجماعة في أفرادها وفي عموم الناس تأثيرا اجتماعيا ودينيا وسياسيا .

والآن نترك القارىء مع الكتاب ليقرأه على مهل ويقرأ سطوره وما بين السطور ويستمتع بلغته الأدبية وأحداثه

المشوقة ونحن على ثقة من أن أي متصفح لهذا الكتاب لن يتركه إلا بعد أن يفرغ منه تماما ويتفرس وثائقه . ولكن هذا الكتاب سيعيش طويلا في وجدان القارىء فصاحبه لم يكن يكتب بقدر ما كان ينزف من مشاعره . فنقل لنا بقلبه وقلمه صورة كاملة من "قلب الإخوان" ومن ينقلها غيره فقد كان يوما ما في "قلب الإخوان" .

الناشر

إهـــداء

بما أنه يجب أن يكون لكل كتاب إهداء، فإن هذا الكتاب يجب أن أهديه لأحد، وليس هناك بالطبع أغلى من الأهل ولعل نفسي حدثتني بأن أهديه إلى روح أبي رحمه الله أو أهديه إلى أمي أطال الله في عمرها ومتعها بالصحة فقد كان لهما الدور الأكبر فيما وصلت إليه، ولعل نفسي حدثتني أيضاً بأن أهديه إلى أشقائي وزوجتي وأولادي مرام ويحيى... كل هذا حسن وأنا بالقطع أهدي لهم جميعاً هذا الكتاب، إلا أن هذا الكتاب الذي هو بضعة من نفسي وقطعة من أيام قضيتها في جماعة الإخوان المسلمين بحلوها ومرها لذلك فإنه من اللائق أن يكون إهدائي لأحد الإخوان، والذي يستحق هذا الإهداء قطعاً هو الشهيد حسن البنا رحمه الله مؤسس هذه الجماعة ولعله إن مد الله في عمره لأحدث طفرة في العمل الإسلامي ولكن كل شيء بقدر ومن بعده دخلت جماعة الإخوان في أزمات وأزمات تجادت وأخفقت وأظن أن البنا لو خرج من قبره الآن لقطب جبينه في وجه القطبيين الذين أخرجوا الجماعة من سياقها.. إليك يا إمام الإخوان إليك يا حسن البنا رحمك الله أهدي إليك هذا الكتاب.

المؤلف

الفصل الأول

في البدء كانت كلمة

،عندما ننظر إلي القمر في ليلة اكتماله فإن نوره سيستلب عيوننا ويخطف أفئدتنا إلا أننا لن ندرك تحت وطأة هذا النور أن القمر ما هو إلا جسم معتم شديد الظلام والوحشة كثير الصخور والحفر.

لكل شيء بداية ... ولكل شيء نهاية ... الحضارات والأمم والجماعات تبدأ ثم تفنى ... والكائنات تولد ثم تموت .... هذه حقيقة كونية ، وليس من شيء يسير تحت الشمس إلا وله دفقات قوة وعنفوان ... وله خفقات ضعف ومرض .. هذه سنة الحياة ، والإنسان الفرد الذي يدب على الأرض يحمل في مزوده الفجور .. ويكنز في وعائه التقوى ... هذا هو تقدير الله... أما الأمم أو الجماعات فإنها ليست أوعية فارغة .. إذ فيها بشر تستمد فتوتها وخيريتها منهم .. فإن أحسنوا أحسنت ، وإن شمخوا شمخت .. أما إذا أساءوا أساءت ... وإذا تدنوا تدنت وعاشت بين الحفر .. سيان كانت تلك الأمة أو الجماعة مسلمة أو غير ذلك ... هذه سنة الله في كونه قدّرها تقديرا .

أما البداية فكانت كلمة .. والكلمة ميراث أبينا آدم لنا .. ألم يتعلم الأسماء كلها من الله سبحانه وتعالى .. ومنه عرفنا وظائف الأشياء وتوارثناها في كل الحضارات ... سماء... سحبت الشمسُ الماء من البحر فكانت من السحب ، وكانت سحابة .. واحتوت السحابة على ماء .. وهطل الماء علينا .. فكانت سماء .

أما الكلمة فكانت إخوان .. إخوان .. دخلت الكلمة قلبي فخلبت لبي.. وقعت في روعي فتمثلتها سحابة ماء تسبح في سماء الدعوة ... تهطل علينا بالخير .. يكفي أن تقول " إخوان " لكي تدغدغ مشاعري .. تهبط على روحي كلمة " أخ " كما يهبط الوحي على النبي .. فالأخ هو جبريل أخيه .. ينصحه ويصاحبه ويشد من أزره ولا يظلمه أبدا ... رسمت كلمة " أخ " في مخيلتي فقرأت حروف المروءة ... الإخوة مروءة ... قرأت كلمة "إخوان" فتراءى لي الأنصار والمهاجرة إذ أخى بينهما النبي صلى الله عليه وسلم ... الأخوة في الدين غلبت أخوة الدم.

وضعت الكتاب بجانبي ولكني وضعت الإخوان في قلبي ، وأخذت أتنهل من

معين الكتب كي أستزيد منهم وعنهم .. حبسهم عبد الناصر لخلاف سياسي .. لعن الله السياسة .. عذبهم ... أعدمهم ... بكيت بحرقة وتعاطفت معهم ، وتمنيت أن أعرفهم لأنود عنهم .

في الجامعة كان اللقاء الأول .. هل تعرف سحر اللحظة الأولى ؟ المرة الأولى دائماً هي أروع وأشجى وأعذب المرات ، حيث يسبقها الغموض وتكتنفها الرهبة ، وتخالطها رغبة جارفة في المعرفة .

ولعل مشاعر المرة الأولى قد ملكت زمام قلب جدي وسيدي آدم عندما رأى جدتي وسيدتي حواء تسعى بين يديه ، وكأنني آدم عليه السلام اقتحمتني اللحظة الأولى عندما رأيت عمر التلمساني وبرفقته عبد المتعال الجابري وتخيلتهما أبي وجدي .. فشغفت بهما حبا ... هؤلاء هم " الإخوان المسلمون " دعاة ... فكانت الكلمة .. دعوة .

وعدت إلى الكلمة المسطورة في الكتاب .. أبحث عن الإخوان المسلمين.. ضحايا .. أبرياء لاشك في ذلك عندي .. فربة اسمها النظام الخاص والاغتيالات افتراها رجال الثورة واختلقها النظام الحاكم .. محاولة اغتيال عبد الناصر في المنشية ... تمثيلية ... ومحاكمات وإعدامات ... بكيت كمدا واحترقت جفوني كربا مما حدث لهم .

أردت المزيد فذهبت لمسجد عين الحياة واستمعت للشيخ عبد الحميد كشك وخرجت من عنده لمسجد الخلفاء الراشدين واستمعت لجمهرة من دعاة الإخوان .. الشيخ الغزالي بهرني .. الشيخ عبد الستار فتح الله أمتعني ... الشيخ سيد سابق علمني ... الشيخ القرضاوي سما بي ... هؤلاء هم " الإخوان المسلمون " ... فقهاء ... فكانت الكلمة ... فقه .

فتحت التلفاز فرأيت شابا من الإخوان - غدا نجما إخوانيا بعد ذلك - اسمه عبد المنعم أبو الفتوح وهو يحاور رئيس الدولة أنور السادات بجرأة فريدة .. فلم يهبه .. ولم يتتعتع في موقف تذل فيه أعناق الرجال .. ومن بعد رأيت شيخهم ومرشدهم التلمساني وهو يحاور السادات فيقول له : سأشكوك إلى الله ... هكذا هم الإخوان قوة في الحق.... فكانت الكلمة ... قوة .. وكانت الكلمة ... حق .

عدت إلى الجامعة وصادقت من ظننت أنهم إخوان .. كنت معهم يدا بيد في كل الأنشطة إلا أنني كنت حرا طليقا فلم يستوعبني أحدهم .

فرغت منهم إلى الكلمة وظللت زمنا في دائرتها لم أخرج منها .. كلمة أقرؤها .. وكلمة أسمعها ... متيما كنت أنا بالإخوان .

بعد الجامعة عملت بالمحاماة .. ولكن في مكتب أحد السياسيين الوفديين الكبار ... محمد علوان .. سألته عن الإخوان فحدثني عن حسن البنا .. كان قد رآه فقال لي : (ألخصه في كلمتين .. عبقرية التأثير وعلو الهمة) .

قلت له ولم لم تدخل الإخوان فقال وهو يجتر الحكمة : (بسبب القيود التنظيمية التي تضعها الحركة وتسوس بها أفرادها ، وأنا أبحث عن الحرية فلم أقبل أن أكبل نفسي بقيود التنظيمات الحديدية) فاستغربت كلمة أستاذي عن القيود التنظيمية والتنظيمات الحديدية وتكبيل الأفراد فقلت لنفسي : من لا يعرف الإخوان يبالغ ، فكان نقد الآخرين للإخوان في عيني مبالغة وكانت الكلمة .. أبرياء .

وبرفقة أستاذي محمد علوان جلست مع التلمساني فهش في وجهي وبش .. قال يوم رأيته (نحن الإخوان ضد العنف .. ضد الاغتيالات .. كان النظام الخاص كبوة .. ولكل جواد كبوة ..الإخوان لكل الأمة وليست لفريق بعينه .. سيكون الإخوان تيارا جارفا يصب في نهر الأمة .. وسيخرج الإخوان من ضيق التنظيم إلى سعة الدعوة) ... هؤلاء هم الإخوان ... حكماء .... فكانت الكلمة ... حكمة .

ذات يوم عاد الشيخ عبد المتعال الجابري الداعية الإسلامي الزاهد من غربته في أمريكا فعدته في المشفى مع رفقة من شباب الإخوان ، فقال له أحدهم وكأنه يطمئنه على ثبات الشباب وغيرتهم على الإخوان : ثلة الفوغاء تهاجم الإخوان وتنتقدهم لو كان الأمر لكم لطلبت منكم أن تحاكموهم .

ابتسم وقال له وقد أخذه الوهن على فراش المرض : على رسلك يا بني .. ومن نحن حتى نحاكم أو ندين ، وهل نملك أن نتسلط على قلوب العباد ... إنما نحن نُذكّر وليست لنا سيطرة على أحد .. نحن دعاة ... إنما يحاكم ويحقق ويدين في الحياة الدنيا من كان همهم الدنيا ، ونحن طلاب آخرة .

هكذا هم الإخوان ... دعاة لا قضاة ... فكانت الكلمة ... رحمة .. وكانت الكلمة دعوة .

في البدء كانت كلمة .. ثم كلمة .. ثم كلمة .. ثم كلمة .. فتكونت دائرة من الكلمات..دائرة ذهبية .. بدأت بالدعوة وانتهت بالدعوة ... وبينهما قوة .. حق

فقه حكمه براءه رحمه

وفي بقية المحامين كانت لنا أيام حسبت مع مختار نوح الذي كان من نجوم الإخوان وفيها وقرأت معه القرآن وسمعت منه واستمعت به ومن بعدها ضرب من الإخوان

ضرب أنا من الإخوان وصار الإخوان مني

وفي الإخوان ترقب نفسي

وللإخوان سكنت نفسي

وفي الإخوان سكنت نفسي فتلاشيت كقطرة ماء تبخرت

وحين يوم وقعت قطرة الماء من السحابة فتألمت ومن ألمها سكنت حضرة

وبات يوم عرفت قطرة الماء أن الضياء ينير الطريق ولكنه أحيانا يعمي البصر

الجموح المستطير

«نحن نتعبد لله بأعمال النظام الخاص للإخوان المسلمين قبل الثورة»

نطقها استبشار مأمون الهضيبي على مهل وبصوته الرفيع الحاد وبنغمة خطابية حماسية مفعمة بالفخر والزهو والجلاء ثم نظر ذات اليمين وذات الشمال ليرى أثر كلماته ووقعها على الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد عمارة الخطيب صحب القاعة بالتهليل والتكبير والتصفيق نظرت إلى الوجوه التي تحاورني والتفت بوجهي للخلف فوجدت الفرجة قد استولت على مجامع القلوب وسيطرت على مشاعر الحاضرين ورغم أني هتفت مكبرا بلا وعي مني مع آلاف الإخوان الذين كتبت بهم القاعة وكان الحالة الشعورية الجمعية التي جثمت على الجميع احتويتني وامتدت إلى نفسيتي وسحبتني بداخلها إلا أنني استغربت نفسي بعد ذات وتعجبت من هتافي وكان الذي هتف وكبر ليس أنا بل شخص غيري

وبعد أكثر من ساعتين من الجدل والصخب وبعض من العلم والفقه والفهم انتهت المناظرة التي عقدها معرض القاهرة الدولي للكتاب في شتاء ١٩٩٢ والتي دار موضوعها عن مصر بين الدولة المدنية والدولة الدينية وانصرف الجمهور الذي كان حاضرا بالآلاف إلى شأنه إلا أنني مكثت وحيدا بالقرب من القاعة التي شهدت المناظرة فكر في وقائعها وأحداثها لم يعجبني فكر

فرغ قراءته حتى اقتطف [illegible] في عصر [illegible] كان يسير متحاملا على نفسه بسلام وسلمى وكان عينه كلما لاحت له [illegible] الا [illegible] يهتدي عصبو مكتئب لا [illegible] يلاحظ [illegible] وقد [illegible] يفحص ثم لاحظ [illegible] في كتاب [illegible] في عينيه [illegible] مصاغر مفتعلة يتحيه [illegible] وتقدير [illegible] فقصر عن كونه عمر يتقصد [illegible] وتقصد [illegible] يقصر من حسن على عقدة نصره سيئة وحدثه [illegible] في ضرفيه [illegible] ثم [illegible] كما [illegible] في [illegible] ومنهجه في [illegible] [illegible] وتلك [illegible] يتحدث عن الاسلام كله فتم [illegible] وحدثه وكان [illegible] فيه [illegible] عن [illegible] لاحوال [illegible] وحين [illegible] يخاص فيه [illegible] من حسن [illegible] سيل [illegible] ويقول [illegible] من عصر الاعتدال [illegible] يوقف [illegible] عن [illegible] في [illegible] عن [illegible] نظام [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] صحبه [illegible] لاحوال [illegible] عبدالله موقف حسن في نفسي [illegible]

وعلى بعد [illegible] يسير في منتصف [illegible] من [illegible] ناصي [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] لا يعلم [illegible] [illegible] [illegible] الاخوة [illegible] [illegible] [illegible]

ويقول الله [illegible] [illegible] [illegible]

ـ يا عزيزي لا تقل الحديد لا يحدد فرح قوده لا ينفع معه الا هذا

ـ ولكن هذه مناظره لله ثم للتاريخ

وليس من اجل عيون فرح قوده تخالف ما نعتقده

ما قاله المستشار سيصل حتما الى اجيال قادمة وسيكون معبرا عن رأي الاخوان

[illegible] يوم [illegible] عن [illegible] عمليات [illegible] انهم ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين

[illegible] يوم المستشار [illegible] اجمع [illegible] الله [illegible] اعمالهم

كيف هذا [illegible] ( )

لقد [illegible] كلمته [illegible] في نفسي

«أي عبادة تلك التي قتلت مسلمين [illegible] على انفسهم »

«في [illegible] وصحافة وعلى لسان [illegible] الكبير [illegible] العراشي رئيس وزراء مصر عبادة »...

[illegible] على [illegible] في [illegible] المستشار [illegible] قبل [illegible] الجاريدار عبادة

[illegible] اللسان [illegible] المستشار [illegible] جماعة الاخوان [illegible] الناس وعقولهم ... فتتحول عملية [illegible] الاخواني الذي [illegible] جماعة ثم اختلف مع [illegible] الخاص الى عبادة [illegible] الى الله »

«حدثني يا سامة [illegible] هذا هو [illegible] الذي سيعلمه للإخوان [illegible] أجمعين ؟»

«كيف سقط المستشار مأمون هذه السقطة وهو الذي رأيت فيه قيمة فكرية ودعوية سامقة ؟ (!)»

ليست هذه منهجية الاخوان [illegible] تبدلت الأفكار ؟ وسكتت [illegible] عليها في مقابر [illegible] من السابقين الاولين كالتلمساني [illegible]

قال سامة وهو يبدي دهشته من كلامي المتدفق هذا كلام كبير [illegible] في ان هذه عمليات اجرامية وليست [illegible] ولكن [illegible] حكام .

[illegible] وانا الذي [illegible] ضرورة [illegible] ضرورة ؟ قل لي [illegible]

وبعد ذلك العملية التي خرجت عن سيطرة الجماعة و فكرها المعتدل»

سحب أسامة السيجارة من فمه ووضعها على وجهه وهو يقول انت تعلم أني ضد أي عنف ولو تستر وراء الدين . ولكني أقصد أن المستشار مأمون له ضرورة بقية التي دفعته إلى هذا القول

فقلت متسائلا ضرورات لا تحتاج هذا التبرير الى شرح وتوضيح ؟

اعتدل اسامه التفكير ونقلت نظرته الى الناحية الأخرى ثم قال ببطء وكأنه يتحدث عن بكلمات سيكون لها وقع سيطرت في الخميس القادم في شقتي التي تعرفها لاتحدث معك فيما يخص ذلك

***

يسكن اسامه الغروري في ول شارع هوماشاي بحي لرسون في حد العقارب الغربية من قسم السرطه وكان قد انضم الى الاخوان المسلمين في سنوات وشاب بينه وبين الحاج مصطفى مشهور - نسب لرشد بقسم للاخوان المسلمين وفيها - صلات قويه اذ كان الحاج مصطفى هو اول بقسم لاسرة ينخرط فيها اسامه عام ١٩٨ (الاسره هي البناء الاخواني القاعدي

ويتكون من خمسة او ستة افراد من بينهم شخص يطلق عليه لقب النقيب وكل مجموعه سر بشكل سبعه وكل مجموعه سبع بشكل منطقه وكل مجموعه مناطق بشكل محافظه) وبين سر اسامه وبيت الحاج مصطفى يصل حضور لا عشر امتار فقد كنت اسكن وقتها في اخر شارع هوماشاي من ناحيه ميدان ابن الحكم القريب من منطقه بحيث يتعذر ان لا جمعتي سبعه إخوانيه واحده مع اسامه ثم جمعتي معه سره اخوانيه واحده كان هو نقيبها .

كنت قد عدت سابقا على سبيل شكل دوري الى اسامه فقد كنت مقسم بقاءات لأسره بعقد عنده واحيانا كنا نذهب بشقته في يوم ذي بعقد فيه بكسته لشهرية (الكسته هي لقاء شهري لشعبه يسمر بقهوه ويسمل درسا دينيا وصلاة قيام) الا ان لقائي اليه قطع مد ترددت الأنباء عن نزل اسامة للجماعه وفيها قام المسئولون في الشعبة باعاده ترتيب الاسر من جديد وعزله بعضهم لاخوه وبعضهم لترحيلهم لمنطقه (ج) عامر ج محافظه (حلوان) وبين محكمه التي تم عقدها لأسامه حيث ينتهي وقف لما وصل الى قناعه حركه بعيدا سيطرت فيها بعض

الإخوة ، وان حركة التمرد هذه قادها اثنان من اقصى الاخوة هما المهندس اسامة العروي والمهندس عمرو البلاوي الا ان احدا لم يقل لنا ما هو هذا التمرد ومم هي سببه اللهم الا انهما رفضا تعهد امر إداري ولم يفصح احد منهم عن كنه هذا الامر وعندما سألت مسئول اسامة عن حقيقة ما يتردد عن التمرد وعن الأمر الذي خالفه الاخوان قال لي وهو يرتدي ثياب بقعة احكم (يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم) ثم اردف قائلا ثو في الفساده دون ان تسأل " فاثرت الصمت وعدم تكرار السؤال حتى لا اقع مع الرجل الا ان عبارات اسامه عن الاخوان أحدث غصة في قلبي ودهشة في صدري فقد كان تصوري ان الجماعة يسعى كل بصدق طاقات الاخ وجهوده وان يوجهها لمسارها الصحيح لا ان يكبلها ويعطلها ويستنزفها في خلافات إدارية لم يستوعب قلبي أن اخا يترك جماعته بسبب اختلافه مع القيادات في قرار ما " او رفضه تعهد قرار ما مهما كان شأن هذا القرار فتحفز في دعوة ونسيا في شركه ولكن تردد ضميري وتحاصم اليوم جعلوني حينما يتردد في حافظتي صدى كلمات سمعتها من بعض الاخوة في كثير من المناسبات (يسعى ان يكون الاخ بين يدي مرشده و بقيته او مسئوله كالميت بين يدي من يغسله يقلبه كيف يشاء) يعلم قد يكون هذا من باب المبالغة استوقفت هذه العبارة في هذا الاطار وقد مر بها من قبل لبعض الصوفية فهل يتم تصنيفها بشكل يتضمن خالف " وتردد ضميري بينها على حصر بين " الجماعة ام الأخ "

كان الاخوة عقب ذلك يترحمون على ايام هذين الأخوين وعلى نشاط دعوي الذي كان يمارسانه ويفتشون من جديد الحصوة والشاهد في منطقة كانت في سابق يقع تحت سيطرة الجماعة الاسلامية من ناحية ، وسيطرة الجمعية الشرعية من ناحية اخرى ولكن سرعان ما لا كر منه الاخ يترك الجماعة فقد كانت تحذرهم ، حتى يذكرهم بفضل هذين الأخوين ، مقولة صادقة عبثرة بوشائج الايمان لا فضل لأخ على الجماعة مهما كان قدره ، فالجماعة تسير بفضل الله ثم بكم او بغيركم ولكن الفضل كل الفضل للجماعة على الأخ "

في الموعد المحدد بعد صلاة المغرب كنت اجلس مع المهندس اسامه في حجرة الاستقبال بشقته بسكينه مدينة نصر بمحافظة سنوي نفيسي في أسماء

وأرتشف قدح الشاي الساخن وانا استفيد معه ذكرى ايام حيث ذهبتُ الى عالم الذكريات وسبقتنا إلى عالم البرزخ أو إلى الدار الآخرة إلا انها ما زالت محبوءة في نفوسنا وضمائرنا فاصبحت بصفة من شخصياتنا وثقافتنا وأخلاقنا استروحت معه نفحات تلك الأوقات التي حفظنا فيها ما تيسر لنا من القرآن الكريم والحديث الشريف وتذكرنا سوياً دروس المساجد التي كنا نحضرها لعلماء الأمة مثل الشيخ الغزالي والشيخ سيد سابق والشيخ عبد اللطيف مشتهري والشيخ إبراهيم عزت والدكتور سليمان ربيع وكيف أننا كنا لا نُفرِّق في التلقي بين علماء خرجوا من رحم الإخوان وعلماء وهبوا أنفسهم للأمة بلا تحيز لجماعة عن أخرى

وهنا تحول الحديث إلى وجهته الأصلية انتفضت شراييني وسرت قشعريرة في جسدي واحدودب ظهري وانا أتحدث إليه بصوت منجوح لا يكاد يُبين أنتظر منك الاجابة يا صديقي عن سؤالي الذي طرحته عليك بعد مناظرة معرض الكتاب هل تذكره ؟

قال بعد ان ارتسمت على وجهه مخايل الجدية أذكره ولا أنساه

. ثم تحدث أسامة بما لم أتوقعه وبما هو أغرب من الخيال

***

الفصل الثانى

أسامة الغزاوى يتحدث

- مرض الذئبة الحمراء هو مرض يصيب الجسم ينتج عن خلل في الجهاز المناعي يجعله بدلاً من ان يحمي جسده من البكتريا والفيروسات فإنه يهاجم الجسم الذي يحميه متصورا أن هذا الجسم هو العدو الذي يجب أن تتم مواجهته . يحدث هذا في الإنسان كما يحدث في الجماعات»

قال سامة بصوت خافت حدثني الشيخ عبد المنعم الحاوري الذي كان يدرس لنا مبادئ العربية في مدرسته ابن خلدون الثانوية بحلمية الزيتون وكان قد قضى أكثر من نصف عمره في السجون بحسب انه كان من قيادات الاخوان فضلا عن انه كان رفيق درب للشيخ عمر التلمساني رحمه الله انه بعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ وبعد ان دخل النصف الثاني من تونصبر مات المستشار حسن الهضيبي مرشد الاخوان افضى الى ما قدم وكل نفس ذائقة الموت مات الرجل الذي خلف حسن البنا فكان مرشد المحنة كما يطلقون عليه مات الرجل وترك فراغا هائلا في الجماعة مات وترك سفينة الاخوان تتلاعب بها الامواج ولا ربان لها كان قد الرجل يحمل في نفسه شيئ من رجال نظام الخاص فقد كان يعتبر انهم هم الذين ادخلوا الجماعة في محنة فاصطدم بقيه ومنعوا من عودتهم وجهلهم في حل جماعة الاخوان الذي اسفر عن مقتل حسن البنا لذلك كان اول قرار له لي برمها بعد ان تولى الأمر هو حل النظام الخاص وفصل عبد الرحمن السندي مسئول هذا النظام - الذي كان شابا حدثا متحمس الفكر والثقافة - وفصل بعض القدة الاخرين الذين سيطروا على الشباب ويتمرون بأمره وقام عقب ذلك بتعيين احد رجاله مسئولا عن نظام خاص جديد يدين له هو بالولاء والطاعة ، فكان ن وضع على راس الفريق الجديد يوسف طلعت الذي كان من المجاهدين في فلسطين وعندما اصطدم الحلاف بين النظام الخاص الجديد و النظام القديم قام خدهم باعضاء سند قاير الذي كان وقتها حد المسئولين الجدد في النظام الخاص بتشكيله الجديد ، و سارت عد الشك والاتهام لي حد قر ر النظام القديم الذي لم حله ولكن لم يتأكد الطرفين وحدث محنه الخلاف لاخوان وحكومه الثوره ودخل الاخوان السجون و بقي في ر ر ن قرار النظام الخاص خدمهم وقدمهم ودخل معهم الشيخ سيد

قطب الذي كان قد هجر الشعر والأدب والنقد وتفرغ للكتابة عن الإسلام وتفسير القرآن واطنب في ذكر تصوراته عن المجتمع الجاهلي بعقلية الشاعر الأديب لا بعقلية العالم الفقيه ثم جاءت فترة منتصف الستينات ودخل الإخوان مرة ثانية إلى السجون في قضية سيد قطب التي اتُهم فيها - مع آخرين - بمحاولة اغتيال عبد الناصر وقلب نظام الحكم

وفي السجن التقى رجال النظام الخاص بسيد قطب وتلاميذه فكان الاتحاد وكان التلاحم بل كان التماهي والتمازج فقد كان رجال النظام الخاص يفتقدون إلى المرجعية الدينية التي توصل لهم عمليات الاغتيال وتبيحها لهم من الناحية الشرعية ، إذ نفض الشيخ سيد سابق يده منهم وتركهم إلى غير رجعة وآمن أن في عقول بعضهم آفة ، وبعد أن كانوا يطلقون عليه مفتي الدماء تبرأ منهم وقال قولته الشهيرة نعم أنا أفتي في دم الخنص فوجد النظام الخاص بغيته في الشيخ سيد قطب الذي استمد فكره من الشيخ «أبو الأعلى المودودي» الذي ولد وترعرع في ولاية حيدر آباد بالهند في مجتمع يتعدد فيه الديانات ويكثر فيه عبدة البقر والشجر والثعابين تأثر الشيخ سيد قطب بأبي الأعلى المودودي أيما تأثر ومنه أخذ فكرة الحاكمية حيث اعتبر أن المجتمع المصري يقوم على أسس جاهلية لعدم احتكامه لله سبحانه وتعالى في الحكم هذه الجاهلية التي تعتدي على سلطان الله في الأرض فتتحاكم إلى تشريعات وأنظمة وضعها بصور بشري محض كما في الآية القرآنية (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) بالمخالفة للآية القرآنية (إن الحكم إلا لله) ومن هنا قام سيد قطب بوضع تصور حركي من خلال تقسيم المجتمع إلى فريقين مجتمع المسلمين والمجتمع الجاهلي وأوجب على المجتمع المسلم أن يتقوقع على نفسه في محضن إسلامي ، ويعتزل المجتمع الجاهلي شعورنا وفقا لقاعدة (واهجرهم هجرا جميلا) لكي ينأى بنفسه عن شوائب الجاهلية وحشاشتها ، إلى أن يتمكن ويشتد ساعده من ناحية وتصبح عقيدته نقية خالصة من الأدران من ناحية أخرى حينها يستطيع المجتمع المسلم المعتزل أن يفرض نفسه ويرفع رايته رغما عن أنف الجاهليين

وضع سيد قطب أفكاره هذه في كتابه معالم في الطريق وصاغها بطريقته الأدبية البديعة وبألفاظه الشاعرة المرهفة ودون أن يمر بها على عقلية العالم

الفقيه الأريب الفطن ومنه انطلقت تلك الأفكار إلى رجال التنظيم الخاص الذين استرحت ضمائرهم وهدأت افئدتهم لتلك القسمة . مجتمع جاهلي حتى النخاع ومجتمع إسلامي بلا انقطاع وبتلك الفكرة تشرعت عمليات الاغتيال التي قاموا بها ومن خلالها اصبح اغتيال النقراشي والخازندار مواجهة مع المجتمع الجاهلي الذي يحارب مجتمع الاسلام والذي هو في جاهليته اشد وطأة من تلك الجاهلية التي سبقت الإسلام فكان من الطبيعي ان يلوذ رجال النظام الخاص بحياض الأديب الشاعر ويتدثرون بمعطفه .

كانت افكار سيد قطب مبنية الصلة عن منهج حسن البنا ومسلكه الدعوي ففكرة حسن البنا لا تقوم ابدا على جاهلية المجتمع بل تقوم على ان الناس يبتعدوا من خلال التطبيق عن منهج الإسلام وان هذا الابتعاد لا يمس عقيدتهم ولا يخرجهم من الملة كما أنه لا يدخلهم في نسق جاهلي . وكل ما يحتاجون إليه هو الدعوة العلنية المفتوحة التي يجب ان تصل إلى الجميع حتى تستقيم اخلاقيات الناس وتتفاعل سلوكياتهم مع ما يدعو إليه الاسلام في المعاملات والعبادات دون ان تضع اهمية لضم احد إلى التنظيم فالتنظيم هنا يقوم بدور القائد الذي يدعو ويوجه لا بدور الوعاء الذي يضم ويحتوي ولا اخفيك سرا ان الخطأ الذي جر الوبال على اخوان البنا هو إنشاء فرقة النظام الخاص التي كانت بمثابة الجسم الغريب عن الجماعة . وقد حكى لي الأستاذ فريد عبد الخالق ان حسن البنا تقابل معه بالقرب من كوبري قصر النيل قبل اغتياله وقال له مقولته الشهيرة لو استقبلت من امري ما استدبرت ما أنشأت النظام الخاص

اما فكرة سيد قطب من حيث الوسيلة فتقوم على الانتقاء والتجنيد والتحييش وذلك عن طريق استثمار الدعوة العلنية من اجل تكوين تنظيم سري شديد الاحكام عن طريق جذب الأنصار وضمهم لـ ماكينة الدعوة حتى تقوى بروسها وتصبح قادرة ذات يوم على مواجهة المجتمع الجاهلي وبهذا يستفيد بعضا من قيس جبل الصحابة ذلك الجبل القرآني الفريد فاذا دعوت الناس وتركتهم في المجتمع الجاهلي ينهلون منه فسوف تذروهم رياح الجاهلية ويصبحون وقتها دما يتدفق في شرايين تلك الجاهلية العرجاء ، وتقف معيتهم مع الجاهليين في عضد المجتمع المسلم كانت هذه هي

الأفكار التي التف حولها الجمع الفريد وبها قام الحلف المقدس بين النظام الخاص وتلاميذ سيد قطب كان هؤلاء هم إخوان سيد قطب

مات حسن الهضيبي عليه رحمة الله الذي كان قد ادرك خطورة هذا الحلف المقدس ، وكان التلمساني وغيره قد نبهوا الهضيبي بخطورة هذه الأفكار ودقوا له ناقوس الخطر فالتقى الهضيبي ذات يوم وهو في مشفى السجن بسيد قطب فكان أن سأله هل تكفر المسلمين يا شيخ سيد فنفى سيد قطب هذا الأمر وقال إنه غير مسئول عن فهم الناس لأفكاره على غير محلها وعلى غير مقصدها فلم يجد الهضيبي أمامه من بد إلا كتابة كتابه الوحيد دعاه لا قضاه لمواجهة حلف فريق النظام الخاص و القطبيين

ولكن يبدو أن هذا الحلف سيشتد عوده ويقوى بنيانه فيما بعد

وفي ليلة التحقت بظلام الأيام الأخيرة من شهر فبراير البارد من عام ١٩٧٥ وبعد صلاة العشاء اجتمع فريق من النظام الخاص في بيت احد سدنة هذا النظام وحراسه وهو الحاج احمد حسانين في قليوب البلد ، وكان صاحب الدار قد خرج من السجن منذ اسابيع خلت قبل هذا الاجتماع التاريخي مع اخر دفعة نالت الافراج من الاخوان ، بدا اللقاء وكان الجمع يحتفلون بخروج ثلة ليس لها نظير من اركان التنظيم من سجنهم الذي احتضنهم ما يقرب من العشرين عاما

وفي حجرة فقيرة في اثاثها ومحتوياتها تطل شرفتها على ارض زراعية شاسعة جلس كل من مصطفى مشهور وكمال السنانيري واحمد الملط وحسني عبد الباقي وخامسهم صاحب الدار احمد حسانين وهم يستدبرون تاريخهم مع الجماعة ورحلتهم في السجون وخطط المستقبل الذي يجب أن يكون .

كان قد مضى على وفاة المرشد الثاني حسن الهضيبي عام وعدة شهر ، ومازالت الجماعة بلا مرشد جديد إذ مات الهضيبي - الأب - دون أن يعيد تشكيل التنظيم ويحدد النيابة ، اللهم إلا انه التقى في الحج قبل وفاته ببعض المهاجرين من الإخوان واخذ منهم البيعة وبعث النشاط في ارواحهم ، وتعاهدوا معه على اعادة تشكيل حركة الاخوان في البلاد التي يعملون فيها

وبعد عودته الى مصر انشغل الرجل بجمع الشمل مع من اختلف معهم من قبل مثل الشيخ محمد الغزالي الذي كان قد هاجم الهضيبي هجوما ضاريا

في بداية الخمسينات واتهمه بأنه من عتاة الماسونيين " وتعكر الماء بين الاثنين وتم فصل الشيخ الغزالي من جماعة الإخوان إلى غير رجعة وأخيرا تداعى العالمان العلمان للتسامح والتعافر وتم الصلح بينهما

لم يمهل القدر حسن الهضيبي حتى يقوم بإعادة بناء الجماعة التي كانت قد تفككت وانمحت وبدء رجالها في البلاد يبحثون عن معايشهم ، فعاجله الموت الذي هو نهاية كل حي

كان الحاج مصطفى مشهور أكثر الجميع حماسة وحيوية في اجتماع قليوب الخطير فقد اقترح أن يتم تعيين مكتب جديد للإرشاد من الحاضرين في الاجتماع وأن يتم اختيار مرشد جديد خلفا للمستشار حسن الهضيبي وهنا أصر الحاج أحمد حسانين على متابعة الحاج مصطفى كي يكون مرشدا للإخوان إلا أن الحاج مصطفى رفض هذا الأمر تماما واقترح أن يتم اختيار شخصية أخرى شخصية لا يعرفها أحد ولكن يسهل من خلالها إعادة تشكيل الجماعة وفقا لرؤية هذا الفريق شخصية سينساها التاريخ ولن يعرف ملامحها وكان من ألف السرية واعتادها لا يأتلف إلا مع شخصية سرية " .

مفاجآت مذهلة

توقف أسامة الغزاوي عن الحديث إذ كانت صلاة العشاء قد دخل وقتها ، فخرجنا سويا كي نصلي في مسجد العزيز بالله وهو من المساجد الشهيرة في المنطقة والتي وقعت تحت سيطرة التيار السلفي وبعد الصلاة أخذنا نتجول على مهل بطول شارع طومانباي حيث استطرد أسامة قائلا

هل تعرف أسماء من تولى موقع المرشد العام للإخوان المسلمين وجلس متربعا على سدة القيادة فيها ؟ سيقول لي وأنت تقطب جبينك استنكارا من السؤال طبعا أعرفهم فهم الشهيد حسن البنا والمستشار حسن الهضيبي ثم الأستاذ عمر التلمساني وأخيرا الأستاذ حامد أبو النصر لا يا عزيزي لقد تسرعت في الإجابة فأخفقت فيها هناك مرشد آخر لا يعرفه ولا يعرفه أحد

غالبية الناس وغالبية الإخوان المسلمين لا يعرفون أنه بعد وفاة المستشار حسن الهضيبي بعام وفي هذا الاجتماع الذي حدثتك عن طرف منه وقع اختيار الحاضرين على المهندس حلمي عبد المجيد ـ الذي كان الساعد الأيمن

للمقاول الشهير عثمان احمد عثمان وكان من الرعيل الأول للإخوان – لتكون مرشدا للجماعة

وبعد يومين ذهب هؤلاء القوم إلى من وقع عليه الاختيار في بيته بالدقي وعرضوا عليه الأمر برمته ، وقالوا له إن مسئولية الدعوة بل مسئولية الإسلام اصبحت معلقة في رقبته وانهم لا يقبلون بغيره بدلا ، فوافق الرجل لا انه اشترط شرطين لذلك اولهما ان تصدر مواقفه بتصفيته في هذا الموقع من الاعضاء الذين على قيد الحياة من الهيئة التأسيسية من الاخوان وكان عددهم يزيد على الثلاثين بقليل ، اما الشرط الثاني فهو ان يكون مرشدا سريا لا يفصح عن اسمه احد ، على ان يظل قائما بمهامه إلى حين إعادة تشكيل التنظيم ثم يترك موقعه لغيره ولم يتحقق الشرط الأول بشكل كامل إذ لم تصدر بيعة أو مواقفه إلا من عدد يزيد على عشرة فرد بقليل فلم يحصل الرجل على شرعية ، إلا انه قبل على مضض أن يقوم بدوره المرسوم له حتى حين .

وبعد عام تقريبا من هذا اليوم قام بعض الإخوان في المملكة السعودية بتوزيع بيان على كل الاخوان في الأقطار العربية كان عنوانه (المرشد السري لجميع يقود الجماعة إلى المجهول) وظل هذا البيان لتحريضي يجوب الأقطار العربية ويقع تحت يد الاخوان في كل البلاد بلا ملل ولا كلل فيحدث في نفوسهم مساحة من الامتعاض وقد اورد المفكر الاخواني السابق عبد الله التلمساني خبر هذا البيان بحذافيره في كتابه الشهير أوراق في النقد الذاتي وقد تسبب هذا البيان في حالة قلق لأفراد التنظيم الخاص الذين يعرفون ان معظم الاخوان لا يرحبون بهم ، فأسرعوا في نهايات عام ١٩٧٦ إلى رجل حسن دمث الخلق عف اللسان من الذين شربوا الدعوة من حسن البنا هو عمر التلمساني وعرضوا عليه ان يتولى موقع المرشد وان يعيد تشكيل مكتب الارشاد من جديد ، وكان التلمساني شخصيه شديده المرونه ، وقد سمحت له مرونته أن يرتبط مع جميع الأطياف الاخوانيه من افراد النظام العام او افراد النظام الخاص بروابط قوية ووشائج متينة من المودة فطلبوا من فرط دماثة خلقه انه رجل مهمش الجناح ضعيف التأثير وانه سيكون مجرد واجهه ، في حين سيتحركون هم من خلف الستار حيث سيتحكمون في مقاليد الامور

***

عجزتني روايه اسامه العراوي عن النطق و لتعقيب . يا لها من مفاجأة مدهشة . اتعقل هذا ؟ مرشد سري ولا يعرف عنه احد شيئا ؟ " وي كأنني اكتشفت في هذا اليوم اكتشافا مذهلا تتحير منه الألباب وتتيه منه العقول

ستكمل اسامة روايته المدهشه قائلا

لعلك تعرف الأستاذ فريد عبد الخالق الذي كان من المقربين من حسن البنا . ولكن لعلك لا تعرف ان أفراد النظام الخاص كانوا من احرص الناس على استبعاده من قيادة التنظيم هو والدكتور توفيق الشاوي القانوني الشهير والأستاذ عبد المتعال الجابري . اما الأول فقد جلس على ضفاف الجماعة يحضر في مناسباتها العامة دون أن تكون له صلة بالشأن الداخلي للجماعة ، والثاني هجر الكل وسافر إلى المملكة السعودية وتفرغ لتأسيس مدارس إسلامية وكتابة مؤلفات عميقة في القانون والاقتصاد الاسلامي والشورى في الاسلام . أما الثالث فقد سافر إلى امريكا حيث فر من رجال النظام الخاص وبدر نفسه للدعوة العلنية المفتوحة هناك في إحدى الولايات بأمريكا يرافقه في ذلك الدكتور حسان حتحوت الذي كان من التلاميذ النجباء لحسن البنا

سادت فترة صمت طويلة بيننا إذ كنا مازلنا نسير في الشارع الطويل في حين كان الليل قد دخل إلى نصفه الثاني دون ان نشعر بتوغله ، وكنا قد اقتربنا من سيارتي فجلسنا فيها كي نحتمي بها من لسعة البرد وبعض قطرات من المطر عشيتنا . وبعد ان احكمنا إغلاق نوافذ السيارة اكمل العراوي

كنت أحس عند الأستاذ فريد عبد الخالق وسمعته وهو يدلي بحوار لأحد الصحفيين ، فقال من ضمن ما قال : ظن رجال النظام الخاص انهم حكموا السيطرة على الجماعه وبالفعل اشتكى لي الأستاذ عمر التلمساني من انه اصدر امرا ذات يوم ، إلا ان هذا الأمر لم يتم تبليغه لأحد فاحتد الاستاذ عمر على المسئول عن التبليغ وهو الأستاذ كمال السنانيري أحد رجال النظام الخاص الأقوياء واحد رجال مصطفى مشهور الأمناء ، وسأله عن الأسباب التي دعته إلى عدم تبليغ القرار . فقال السنانيري : لان قيادة الاخوان لم توافق على قرارك . فتعجب التلمساني وقال : وهل من قيادة غيري ؟ فقال السنانيري : نعم . نحن القادة . مصطفى مشهور واحمد

حسانين وحسني عبد الباقي وأنا ثم قام السنانيري بدعوة أحد العاملين في مقر الدعوة وسأله أمام التلمساني قائلا لو أمرتك أمرا وأمرك بغيره المرشد فلمن ستطيع ؟ فقال الرجل لك طبعا .

وهنا أيقن التلمساني أنه يجب أن يدفع في الجماعة دفعة من الشباب يؤمنون به وبأفكاره فكان عبد المنعم أبو الفتوح وأبو العلا ماضي وعصام العريان ومختار نوح وغيرهم ومن خلال هؤلاء الطلبة - وقتها - دخل جيل الشباب بالآلاف إلى مدينة الإخوان فكان هذا هو الإحياء الثاني للتنظيم ، بيد أن أطياف الجماعة المختلفة اقتسمتهم فيما بينهم ، فمنهم من تتلمذ على يد أفراد النظام الخاص وانضوى تحت راية أفكارهم ، ومنهم من تتلمذ على يد التلمساني والمدنيين من شيوخ الجماعة وآمن بفكرهم وطريقتهم فريق مع عسكرة التنظيم وفريق مع مدنية الجماعة

يقول الأستاذ فريد عبد الخالق وقد طلب مني التلمساني أن أكون بجواره إلا أنني لم أستطع العمل مع هؤلاء من أجل ذلك قام التلمساني بفتح منافذ الجماعة لكل أفراد التيار الإسلامي ومن أجل ذلك أيضا قام باستدعاء بعض الطيور المهاجرة من الإخوان فأعاد إلى مصر في النصف الأول من الثمانينات المستشار مأمون الهضيبي رجل القانون المتمرس وابن المرشد الثاني وكان يعمل آنذاك مستشارا قانونيا لوزير الداخلية السعودي ، فأسند إليه إدارة بعض الملفات السياسية رغم اعتراض أفراد النظام الخاص عليه ، فقد ظل الهضيبي الابن بعيدا عن الإخوان مدة عشر سنوات كاملة بعد أن صدر ضده قرار بالفصل من الجماعة بعد مشكلة تنظيمية كبرى نشبت بينه والشيخ مناع القطان مسئول الإخوان بالمملكة والأب الروحي لهم هناك "

كاد الهزيع المتبقي من الليل أن يلتقط أنفاسه الأخيرة ويحمل ظلامه ويرحل وكانت قطرات المطر الخفيف قد انقطعت وكأنها تتأدب مع المصلين الذين سيبرحون دورهم عند الفجر للصلاة في المساجد فغادرنا السيارة لنذهب مترجلين إلى أحد المساجد استعدادا للصلاة وعمرني حينذاك رعشة برودة وأنا أحدث نفسي ها هي المفاجأة الثانية التي لا يمكن أن يتوقعها أحد ! المستشار مأمون الهضيبي ابن المرشد الأسبق حسن الهضيبي تم فصله من الإخوان فتركهم لمدة عشر سنوات " ليت شعري

احقيقة هذه أم نحن في عالم العجائب الإخوانية؟

أخذت استزيد اسامة العراوي بشغف فقال

كانت هذه هي القصة التي سمعتها من الأستاذ عبد المتعال الجابري كما قلت لك ، وسمعت طرفها الاخر من الأستاذ فريد عبد الخالق ، وقد حاولت الاستيثاق من الحاج مصطفى ذات يوم عن صحة خبر المرشد السري فلم يجبني وقال لي هذا علم لا ينفع لا تتحدث إلا فيما يعنيك إلا انني كنت اتحرق شوقا لاستجلاء غموض هذه القصة التي أخفتها القيادات عن الجميع وكأنها عورة ينبغي طمسها أو ذكرى نابذة يجب ان تكون نسيا منسيا "

ذهبت إلى اخينا الدمث الدكتور عبد المنعم ابو الفتوح عضو مكتب الارشاد الذي تعرفه فقال لي كنت حاضرا في هذه الأيام ولكن المرشد السري لم يكن المهندس حلمي عبد المجيد بل كان الشيخ زكي وهو من شيوخ الإخوان الكبار وقتها ، وتم اختياره ليدير دفة الجماعة إلى أن يتم اختيار مرشد جديد وردد مثل ذلك الدكتور السيد عبد الستار المليجي

وذكر أخونا الدكتور عصام العريان نجم الإخوان البارح المثقف في لقاء خاص جمعه ببعض الاخوة ان المرشد السري لم يكن حلمي عبد المجيد بل كان الشيخ حسني عبد الباقي احد سدنة التنظيم واحد اهم قيادات النظام الخاص ..

بيد ان كبار الإخوة اجمعوا على ان ابو الفتوح والعريان والمليجي كانوا وقتها من صغار الشباب ولم يكن يسمح لهم بالإطلاع على تلكم الشئون وان المرشد السري كان هو حلمي عبد المجيد الذي خرج بعد ذلك من زمرة الجماعة ولم يظهر في أي مناسبة من مناسباتها

دارت رأسي من تلك القصة الغريبة التي جعلتني عندما استمعت لها ما بين مندهش ومتعجب ، إلا ان الحرارة التي كان يتحدث بها اسامة والاسترسال الذي حرك لسانه جعلا صدقه عندي لا مراء فيه

كانت رسل الفجر قد بدأت في التجلي وظهر بعض المصلين وهم يغادرون دورهم في طريقهم إلى المساجد انتظارا لأذان الفجر ، وكنا قد قطعنا الشارع مرة أخرى وحديث العراوي المشوق لا ينتهي وكأن جعبته لا تنفد من الاسرار

تدخلت في الحوار مستفهما نعود مرة اخرى إلى سؤالي الذي جرنا إلى

هذه القصة العجيبة تلك القصة التي لا أظن أن أحدا من شباب الإخوان يعرف تفصيلاتها أو يدرك مراميها ومغزاها والتي قطعاً تحتاج إلى بحث وتنقيب للوصول إلى كنهها ولكن يظل سؤالي حائرا لماذا يا أخي قال المستشار مأمون الهضيبي في معرض الكتاب عبارته المؤلمة التي أظن أن فكرة ترفضها ؟ لماذا قال نحن نتعبد لله بأعمال التنظيم الخاص قبل الثورة ؟ ؟

قال الغزاوي وقد أخذه التعب وظهر على صوته الإرهاق عندما وضع المستشار مأمون الهضيبي قدمه على أرض الإخوان في مصر أدرك أن رجال التنظيم الخاص يسيطرون ولكنه وضع يده في يد بعض رجال الأستاذ عمر التلمساني ووثق صلته بالأستاذ صلاح شادي رحمه الله وكوّن معه لجنة سياسية ضموا إليها عددا من المفكرين من غير الإخوان ، وبعد أن مات الأستاذ التلمساني وجاء الأستاذ حامد أبو النصر أدرك الهضيبي الابن أن مقاليد الأمور آلت كلها إلى رجال التنظيم الخاص وأنه لن تكون له مكانة إلا إذا صانعهم ومالأهم فبدأ يتقرب إلى كبيرهم الحاج مصطفى مشهور أما هم فقد نظروا إليه فوجدوه مستشارا كبيرا مرهوب الجانب مكث سنوات من عمره قريبا من الحكام والملوك إذ كان كما قلت لك مستشارا لوزير سعودي من آل سعود فسعدوا بصحبته واستناموا له خاصة وأنه أخذ يدافع عن أعمالهم قبل الثورة ومن هنا فإن المستشار مأمون كان يفسح لنفسه مجالا داخل الجماعة من خلال كلماته في معرض الكتاب عنهم ليسحب منهم أهم ملفات التنظيم كي يديرها بعقلية مدنية بعيدا عن الطريقة العسكرية الآلية التي ألفوها ولم يعرفوا غيرها وعن قريب سيصل هذا الرجل إلى بغيته إذ من السهل عليه أن يسيطر عليهم ويسوسهم بذكائه وحنكته ودهائه

ولك أن تعلم أن المرشد السابق الأستاذ التلمساني وضع المستشار مأمون في لجنة سياسية بالإخوان هدفها وضع تصور لحزب مدني وكان معه في هذه اللجنة الأستاذ صلاح شادي ولكن يبدو أن المستشار مأمون عدل عن هذه الفكرة حاليا وتوقف عن المضي فيها بعد أن وجد أن رجال النظام الخاص يمقتونها ويبغضون من يطرحها وكأنه قتل أباهم لأنه في مخيلتهم لا يستقيم الجماعة في وجود حزب ولا يصلح الحزب مع جماعة وقد قال لنا الحاج مصطفى مشهور ذات يوم ونحن نناقشه في جدوى عمل حزب سياسي

أن حسن البنا قال إن الأحزاب مخالفة للشرع !

وبعد وفاة الأستاذ التلمساني تم مناقشة فكرة الحزب في مكتب الإرشاد وقتها قال الحاج مصطفى إن فكرة الأحزاب السياسية تخالف الإسلام وتدعو إلى التفرق وقد انبثقت الأحزاب من ثقافة الغرب الملحد ولن ندخل معهم حجر نصب ولكننا سنعيش في طهارة الجماعة (يقصد لن نستدرج لعمل حزب سياسي) ومن بعدها وضع المستشار مأمون برامج الأحزاب - التي تم إعدادها - في سلة مهملات الجماعة حتى يكسب رضاء رجال النظام الخاص

لا أعرف لماذا وقع في خلدي عندما استمعت إلى التبرير الذي ساقه العزاوي قصة "تاييس" التي كتبها الروائي الفرنسي أناتول فرانس عن تاييس والراهب بافنوس ذهب بافنوس إلى تاييس كي يسحبها إلى دائرة الإيمان فخرج هو من دائرة الإيمان فهل تتكرر القصة ؟

أذن الفجر في نهاية الكلمة الأخيرة لأسامة وكنا على باب مسجد عاطف السادات ذلك المسجد الكبير الضخم القابع في الثلث الأخير من شارع طومانباي والذي كان في يوم من الأيام مجرد زاوية مقتطعة من مركز شباب طومانباي ثم أصبح بعد حرب ١٩٧٣ مسجدا ضخما وقد امتد إليه نفوذ التجمعات السلفية دون أن يكون لجماعة الإخوان أي وجود في أنشطته وبذلك سيطر السلفيون على الجامعين الكبيرين بالمنطقة كلها مسجد العزيز بالله ومسجد عاطف السادات .

وبعد أن صلينا الفجر دعانا البعض إلى الجلوس في مقراة متخصصة في تعليم أحكام تلاوة القرآن ولكننا اعتذرنا للإجهاد الذي سيطر علينا وانصرفنا وأقدامنا لا تكاد تحملنا إلا أن عقلي كان في أوج نشاطه وتوهجه ، ومن حالة الشبق المعرفي التي اعترتني قلت لأسامة العزاوي ونحن في الطريق إلى بيته حيث تقف سيارتي هل لك أن تخبرني عن سبب تركك للإخوان أو بالأحرى فصلك منها ؟

قال والأسى يمتزج بابتسامته جاء لنا أمر من مسئول المنطقة بخصوص انتخابات مجلس شورى الجماعة بوجوب أن يختار الأخ أسماء معينة بذاتها دون غيرها وكان من ضمن هذه الأسماء الحاج مصطفى مشهور والله يا أخي لو تركوا الأمر دون توجيه لاخترت هذه الأسماء ، ولكنني أنا وآخرين

رفضت تلك الشورى الرائعة وقلنا لبعض رغم حبنا للحاج مصطفى إلا اننا لن نختاره ، ولن نختار الأسماء التي اعطوها لنا ، ولكن احد الاخوة سامحه الله اقنعني امري بنا وعمر التلاوي قمنا لتحقيق معنا ثم تم وقفنا لمدة عام و د رفضنا هذا الظلم صدر قرار بفصلنا من الجماعة

***

ثم استطع ان اعود الى اليوم رغم تلك السهرة التاريخية ، من بعد المغرب الى ما بعد الفجر وحتى تباشير الصباح ونحن نستدعي ذلك التاريخ الغريب للاخوان وعندما اويت الى فراشي تداعت الأفكار وتفاعلت في فؤادي فاقتصت مضجعي ومنعتني من النوم ينبغي ان اسير في الجماعة و بما اعلم مصباح ديوجين فيلسوف اثينا الشهير الذي كان يحمل مصباحه في وضح النهار يبحث به عن الحقيقة ، ينبغي ان احتفظ بعقلي لا سلمه لأحد مهما كان قدره ، فلم تصب الانسانية بنكبة كالهة كتسليم العقول يعبث بها من يشاء ، لقد ادركت من خلال ذاكرة أسامة العراوي ان الجماعة عندما تشعر بها مهددة بالزوال فانها تدافع عن نفسها عبر عدة وسائل ، إذ تسعى اولاً الى و د ي حركات تجديدية داخلها ومحاربتها بشتى الطرق كما انها تسعى في د ت الوقت الى الانكماش والتقوقع على د تها كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس بحيث تبقى بمعزل عن اعداء الحضاري للمجتمع وهذا طبيعي فهي ضد الغزو والتقوقع والانعزال ان مع الدعوة الى سبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنة وما التعلم إلا وسيلة فمن خاب في مسعاه فليسعف بي دمة التاريخ ولكن الدعوة إلى ان يشاء الله

بعد عصر يوم الجمعة الذي جاء بعد تلك السهرة الليلية الدهشة من بد يات عام ١٩٩٢ قررت أن ادون في مفكرتي كل ما يمر بي في الجماعة من حداث وان ادون ايضا تلك الأحداث التي مرت بالجماعة وكنت قريبا منها أو سي مرت بعض سيقوبني في الاخوان وكان اول ما كتبته عن أيام الاخو ن المسلمين في بقاياه المحتضرين من بداية التحرية إلى تلك اللحظة التي مسكت فيها بالقلم ، ثم ما بعد ذلك مع توالي الأحد ث ، تلك الايام التي كانت مدلة بين ايدينا والتي كنا نرتع فيها في اقدم بقعة مهدته ليس في مصر فحسب ولكن في لعالم العربي كله ايام الاخوان في تلك الحقبة الغنائية الشرائية الصلده وما تبعها من ايام

الفصل الثالث

سفر التكوين

«عندما يتسلق الإنسان بدأب وإصرار الجبل ليصل إلى القمة فإنه سيصل حتماً ولكن ينبغي عليه أن يعلم أن الغيوم والسحب تحيط بالقمة من كل جانب» .

هامش كتبت هذه السطور في مفكرتي بدءاً من عام ١٩٩٢ وبعد هذا التاريخ حدث لكثير من الأحداث والوقائع وتبدلت أحوال أشخاص ، ولذلك فقد تكتب اضافات ستجعلها في موقعها المناسب ولكني سأضعها بين قوسين لتمييزها عن النص الأصلي الا اني اختصرت الذي دونته في مفكرتي وتجاوزت احداثاً هامة حتى لا استدرج القارىء إلى تفريعات ليس هنا مجال ذكرها

كان ذلك قبل أن ادخل إلى الاخوان أو انخرط في تنظيمهم ، لم أكن أعرف - بحسب ما كنت انظر إلى جسم الاخوان من الخارج - حقيقة ما يدور داخل التنظيم ، أما الآن فانني اكاد اقسم ان الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله لم يكن يتصور انه عندما أطلق شرارة بدء حركة الاخوان المسلمين في نقابة المحامين ان يؤول الأمر الى ما وصل اليه الحال فيما بعد

في بداية عام ١٩٨٣ حينما اصبح الشاب في عنفوانه ، قام الأستاذ عمر التلمساني مرشد الاخوان انذاك بدعوة عدد من ابناء الحركة الاسلامية من العاملين بالمحاماه كي يتباحث معهم في شأن وضع حجر الأساس للحركة الإسلامية بعمومها في نقابة المحامين كان من بين الحضور عدد من قيادات الاخوان من غير المحامين وكان من بينهم أيضا بعض شيوخ المحامين الذين تنسبوا للإخوان بشكل أو بآخر.

وبعد ان صلى الجميع الظهر خلف امامهم وقد دعوتهم ومرشدهم عمر التلمساني ، تحلق الجمع حوله وقد توسطهم في الحجره الرئيسية بمقر الدعوة - الاخوان - بالوفيقة وأحد الرحل - وهو المحامي الأريب - يستمع إلى الشباب والشيوخ بتفرس وجوههم ويبحث في قلوبهم ويقرأ تصوراتهم الحركيه في اشتات الذي دعاهم إليه ، إلا أنه اعترض بامتعاض عن كل ما استمع إليه إذ كان المتكلمون يتحدثون وكأنهم من اهل الكهف لا يدرون عن واقعهم شيئا

وعندما انتهى الجمع قام من آخر الصف شاب في نهاية العقد الثالث من عمره وطلب الكلمه وعندما اذن له المرشد تكلم وحدد وشرح كل ما في

عقله وكانت كلماته تحمل قدرا من اللوم على جيل فشل في وضع أقدام الحركة الإسلامية في نقابة المحامين حتى أصبحت هذه النقابة قلعة من قلاع الأيديولوجيات الليبرالية واليسارية التي تقف في موقع المنافسة مع ما أطلق عليه الباحثون الإسلام السياسي. أثار كلام هذا الشاب سخط الكبار وإعجاب الشباب حتى أن المرشد التلمساني انبهره وطلب منه الجلوس إلا أنه عند انصراف الجميع همس المرشد في أذن الشاب مختار نوح قائلا: مر عليّ في الغد.

لم تكن هذه اللفتة تمر بسلام وبين الجالسين الحاج أحمد حسانين والدكتور أحمد الملط والشيخ حسني عبد الباقي أبناء النظام الخاص الذين استشعروا أن المرشد يسعى قدما نحو اجتذاب شباب الإخوان إلى دائرته الخاصة التي تنشد الدعوة، بعيدا عن عيونهم ورقابتهم. وإلا ما الداعي أن يهمس في أذن هذا الشاب وهو يبتسم ابتسامة نافذة، فأوجسوا في أنفسهم خيفة وأضمروا في ضمائرهم شيئا.

(صدرت تعليمات بعد ذلك إلى مسئولي المحافظات بعدم تنفيذ أي أمر يصدر بخصوص مختار نوح إلا بعد الحصول على موافقة من أحد هؤلاء، لأن المرشد التلمساني كان لهم بالمرصاد ومن بعد استطاع نوح التغلب على تلك المعوقات من خلال صلته الوطيدة بالمستشار مأمون الهضيبي إلى أن تغيرت الأحوال وسبحان من له الدوام).

في اليوم التالي كان التلمساني يستمع من مختار نوح إلى تصور حركي واستراتيجي كامل يسمح للحركة الإسلامية بعمومها - وليس الإخوان فحسب - بالولوج إلى نقابة المحامين تلك النقابة التي كانت الحلم للحركة الإسلامية والأمل للإخوان المسلمين إلا أنها كانت عصية عليهم.

قال نوح للمرشد وهو ينظر نادبا إلى الأرض: أرى يا فضيلة المرشد أنه ينبغي أن نقوم بتكوين صف واحد في نقابة المحامين ينضوي تحت رايته كل التيار الإسلامي الإخوان وغير الإخوان. نمتد جغرافيا إلى كل القطر بحيث يرتبط الجميع برباط عضوي. كما لا بد أن نقدم عملا إسلاميا واضحا ونعلن عن طموحاتنا وأنفسنا وشعاراتنا بلا مواربة إذ لم نحن من المواربة التي كان السابقون يحرصون عليها إلا الفشل. ثم مد نوح يده للمرشد ببضع ورقات تحتوي على تصور حركي ومنهجي ثم استطرد: هذه الورقات

محتوى على تصورى اقدمها لفضيلتكم حتى احصل على رأيكم وتوجيهكم بشأنها

مما لاشك فيه ان المرشد المستنصر نفس الصعداء ثم ربت على كتف نوح وهو يقول له

«وافق على هذا التصور ، إلا انى اطلب منك ان يكون صفك باحث عن مصالح المحامين قبل غيرهم ولو كان غيرهم هم الإخوان

انت الان مسئول عن تنفيذ تصوراتك وأفكارك وسأساعدك ما وسعنى الجهد ".

«علم أنه ستقابلك العديد من المشاكل والصعوبات الجمة ، لن تكون الصعوبات او المشاكل التى أعنيها من المنافسين الذين ينتمون لتوجهات سياسيه منافسة فهذه مقدور عليها ، ولكن ستقوم عليك الحروب من ابناء جلدتك الفكرية أبناء مرجعيتك فاحذر منهم

إذا اردت أن تسلك طريقا فى الحركه ووجدت معارضة من أحد من الاخوان هدفها توقيعك وإحباطك فاضرب الصفح عنهم وقل لمن يعارضك إنما افعل ما امرنى به المتصدى

كان المرشد على يقين من ان مشروعه الفكرى الرامى إلى تحويل الجماعة إلى تيار دافق يسرى فى اوصال المجتمع ويصم كل ابناء الحركة الإسلاميه سوء من انصم منهم للسطح او من لم ينضم ، لا فارق بينهما إلا بمقدار الانضمام و لعمل سوف يلقى معارضه شديدة من فريق يسعى بقصه وقصيصه نحو إحكام قبضته على عنق الجماعة ، إذ كان هذا الفريق قد نشأ بعضه فى حضن النظام الحاكم وتحت رعايه عبد الرحمن السندى ، وشرب بعضه الاخر من معين سيد قطب وكانوا سدنة معبده الفكرى وأتباعه فى قضيه ١٩٦٥ ، من اجل هذا كان المرشد حريصا على تحذير نوح من أولاء بكلمات تحمل تلميحا وتخفى تصريحا او بعض اكثر مما يظهر.

***

لم ينصرم عام ١٩٨٣حتى جمع مختار نوح حوله من جيله عددا من المحامين الذين يحملون عاطفة دينيه مشبوبة لم يكن منهم من ينتمى إلى الاخوان المسلمين إلا ستة عشر عضوا من المحامين أما السادس فقد كان طالبا فى كلية الحقوق (سيكون بعض هؤلاء صاحب دور مؤثر فى مسار

جماعة الإخوان في نقابة المحامين في مستقبل الأيام) اما عن هؤلاء الستة فهم جمال تاج الدين (الذي اصبح نقابيا بارزا فيما بعد كما اصبح صاحب مكانة إخوانية لا ان مكانته ارتبطت مدا او جزرا - بمن هم على مقاعد الادارة الإخوانية العليا ، كما ان شخصيته الصدامية عطلته عن الترقي في مدارج الإخوان و وقفت رحلة صعوده حتى حين) وجمال فايز (الذي اختفى من الأحداث بعد ذلك بسنوات وترك جماعة الاخوان رغم النسب الذي ربطه بأحد كبار الإخوان الأوائل - الراحل محمد المسماري - والصلة العميقة التي كانت بينه وبين المرشد التلمساني) ومحمد غريب (الذي دخل الاخوان عن طريق بوابة نوح وما لبث ان خط لنفسه طريقه في الاخوان وتراوحت رحلته الاخوانية ما بين الصعود والركود) ، ومصطفى زهران (الذي كان راقصا في فرقة رضا للفنون الشعبية وكان من المتوقع ان يكون له الشأن الأكبر في تلك الفرقة الفنية التليدة وإذا به يغير مساره عندما التقى بنوح حيث ترك الفرقة الفنية ودخل الى الفرقة الدينية - الاخوان المسلمين - وأصبح بعد ذلك من علامات البداية للإخوان في نقابة المحامين إلا ان الحال لا يدوم فسرعان ما تراجعت مكانته الاخوانية وتعرض لكثير من المشاكل داخل المحضن الاخواني حتى اصبح قاب قوسين او ادنى من ترك الجماعة الى ان تم تسكينه في اسرة إخوانية تضم المشكوك في ولائهم فاصبح على الهامش بعد ان كان من القلب) ، واحمد ربيع (احد اوائل من انضم من محافظة الجيزة للإخوان المسلمين وكانت تربطه بالحاج مصطفى مشهور رابطة قوية حيث دخل الاخوان عن طريقه في نهاية السبعينات ثم انقطع الحبل السري الذي كان يربطه بالحاج مصطفى بعد ان استوى عوده ، وقد ترقى احمد داخل الاخوان و اصبح في فترة من فتراته مسئولا عن نشاط الأشبال في الاخوان وتمازج احمد مع نوح وشرب منه وتعلم الكثير على يديه وبعد محنة نوح التي دخل فيها السجن عام ١٩٩٩ ستصيب احمد لعنة الإخوان بسبب قربه من نوح وسيتم تنحيته من كل مواقعه الإخوانية وسيصبح خالي الوفاض و اثر بعد عين) .

ثم طالب الحقوق وقتها سيد عبد العزيز الذي كان احد شباب الإخوان في منطقة الزيتون وكان مقربا من نوح حيث ظل منافحا عنه وسندا له (إلا أن سفر خارج البلاد للبحث عن الرزق ابعده لسنوات عن الجمع وعندما عاد من

سعره عاد بغير القلب الذي ذهب به) ، ثم انضم إليهم بعد ذلك خالد سوى الداعية الذي عُرف عنه انه رفيق الحاشية دمث الخلق بشوش مبتسم يمتلك وهو يقرأ القرآن صوتا خاشعا مؤثرا يهز الأفئدة (واصبح بعد ذلك من مختار نوح كهارون من موسى عليه السلام ومن بعد صار خالد عضوا شهيرا بمجلس نقابة المحامين وتم حبسه مع نوح في قضية عبد الحارث مدني عام ١٩٩٤ ثم في قضية النقابيين عام ١٩٩٩ وبذلك أصبح رفيقا لمختار في سجنه كما كان رفيقا له في العمل النقابي)

وبهذا العدد بدأ مختار نوح في تأسيس الصف الإسلامي حيث قام بالطواف في المحافظات والقرى كي يجمع أنصارا من المحامين يعرض عليهم فكرته وتصوراته الاسلامية والحركية التي كان يتبعها هو فكر الاخوان

وبدأ العدد في التكاثر من حوله رغم المعوقات العديدة التي وضعها أمامه من أشار عليهم التلمساني[٥]

كانت المشاكل تترى ، والبيروقراطية تقف حائلا دون انطلاقات هذا الشاب ولكنهم الذين يعوقونه ينتمون إلى جماعة اخرى وتنظيم آخر ولم يكن نوح يستطيع في كثير من الأحايين التغلب على تلك البيروقراطية إلا بالاتصال بالمرشد التلمساني حتى تمر تلك الطلاسم التنظيمية

ورغم كل ذلك فقد كانت البداية براقة لامعة تخطف الأبصار ، وقد ساهم في الزخم الذي صاحب البداية تلك الحالة المصرية الفريدة التي لم تتكرر كثيرا فقد كانت مصر - المتدينة اصلا - آنذاك في حالة شعورية فريدة من التدين والإقبال على الحركة الإسلامية التي اكتسبت ثقة الشارع بسبب حكمة وحصافة التلمساني ، وبسبب العلماء والدعاة الذين انتشروا قبلها في مصر من خلال مساجدها ومنابرها وجامعاتها يصنعون مساحة تأثير غير مسبوقة ويمهدون الطريق لمن يجني الثمار

لكن هذا وبغيره تكوّن في نقابة المحامين صف من المحامين يحملون خليطا فكريا وحركيا متناثرا إلا أنه تجمعهم مرجعية واحدة وعاطفة دينية مشبوبة ، ينتمي معظمهم إلى الإخوان المسلمين عن طريق نوح وظل البعض الآخر بغير انتماء تنظيمي

كانت المشكلة الأساسية التي واجهت نوح ومجموعته هي تحت اي غطاء نقابي يعملون ؟ إذ لم يكن التلمساني يحدد لهم العمل في النقابة تحت راية

الاخوان بشكل فج ، وإن لم تمانع بطبيعة الحال من أن تكون الراية التي يلتف من حولها المحامون هي راية إسلامية ذات شعارات إسلامية واضحة ، كما أنهم يذكرون تلك الليلة التي اجتمعوا فيها مع القطب الاخواني الشهير الأستاذ فريد عبد الخالق في بيته حينها قال لهم بكلمات واضحة رقراقة ينبغي وانتم تمارسون عملكم النقابي ان تقطعوا الحبل السري بينكم وبين الإخوان بل وينبغي ان تنتهي فترة قطامكم الإخواني أنتم من المحامين وينبغي ان يكون عملكم لمصلحة المحامين قبل اي مصلحة أخرى . ولا ريب ان مثل هذه الأفكار قد ألقت بالأستاذ فريد عبد الخالق بعيدا عن المواقع القيادية في الجماعة رغم تاريخه الذي يضرب بجذوره في تربة الإخوان وصلته القوية بالمرشد التلمساني وعلى نفس النهج نصحهم المفكر الاسلامي والقانوني العملاق الدكتور توفيق الشاوي (رحمه الله) الذي كان قد انحر بعيد عن التنظيم منذ امد

(ولعل لجوء نوح إلى أولاء الرجال يطلب منهم المشورة جعل فريق النظام الخاص يضع تحت اسمه ورسمه خطا أحمرا ظل يصاحبه كظله فيما بعد)

تعددت مصادر الشورى وتنوعت وكان من راي الأستاذ محمد هلال (وهو من كبار المحامين بالاخوان واحد اكبر اعضاء مكتب الارشاد سنا وتولى موقع المرشد المؤقت عقب وفاة المرشد السابق مأمون الهضيبي وسيكون له دور مهم في الأحداث بالنسبة لي فيما بعد) ان يكون العمل تحت مظلة لجنة او رابطة يطلقون عليها الصوت الاخواني او ما شابه مما جعلهم يغوصون في خبرتهم تحت أي مظلة في نقابة المحامين بعمل ؟ هل تحت مظلة لجنة الحريات ، أم تحت مظلة لجنة الشئون العربية ام ام أم ؟ ولكن سرعان ما سينطلق ركب الإخوان إلى لجنة الشريعة الإسلامية التي ستصبح الناطق الرسمي للإخوان في النقابة إلا أن الوصول إلى هذه اللجنة كان اشبه بالوصول إلى قمة إفرست ، كنا نتصور لجنة الشريعة بقمة سابعة ولكن تصورنا هذا كان مستغرقا في السذاجة فقد كانت المفاجآت تنتظرنا

★★★

كان احمد الخواجة هو أول من ادرك في نقابة المحامين ملكات مختار نوح وقدراته الانتخابية التي من الممكن أن تفسح المجال للإخوان المسلمين في نقابة تتأتى على السيطرة الحزبية فقبيل انتخابات المجلس التي اجريت في

مايو من عام ١٩٨٥ عام المواجهة - توفي الأستاذ محمد المسماري المحامي وعضو مجلس نقابة المحامين المنصرم والذي ينتسب بصلة تماس او انتساب - بجماعة الاخوان المسلمين فضلا عن انه كان من المقربين للنقيب الذ فيه احمد الخواجة وللمرشد التلمساني في ذات الآن - وفي سرادق العزاء المهيب تقابل أحمد الخواجة مع مختار نوح وانتحى به جانبا ثم بدأ يُسر في اذنه كلمات انت شاب رائع وسيكون لك مستقبل إلا انك تحفر نهايتك ونهاية جماعتك في النقابة بنفسك كان من المفترض ان تتعلم من المرحوم المسماري أهمية عدم رفع شعاراتكم الدينية

قال له نوح وهو يمتطي جواد الثقة المسماري رحمه الله أستاذي ولكن لكل مرحلة متطلباتها وقد آن ان نُعبّر عن انفسنا وعن فكرنا ونحن نثق في ضمير المحامين

فبادره الخواجة اعلم يا مختار يا ابني ان الشعار الذي رفعته والذي تقولون فيه نعم نريدها اسلامية من شأنه ان يسقطك في الانتخابات ، فنقابة المحامين نقابة علمانية وسوف يقف ضدك الناصريون والشيوعيون والمسيحيون والوفديون سيقف ضدك الجميع وسوف يكون هذا كفيلا باسقاطك انت وجماعتك

لا ان نوح اجابه بثقة وهو يتسربل بعباءة الجدية اعلم هذا يا معالي النقيب ولكن لا تقلق فسوف انجح نجاحا غير مسبوق

فقاطعه الخواجة في هدوء مترع بقليل الحدة السنة الماضية يا مختار لم يستطع الاخوان إعلان شعارهم في انتخابات مجلس الشعب بل إنهم تحالفوا مع الوفد ودخلوا البرلمان من خلال معطف غير معطفهم وشعار غير شعارهم

صدقني فقد كنت حاضرا للتحالف من أوله لآخره وانا الذي دلت الصعاب التي واجهت هذا التحالف انا احبكم يا بني واحبك انت على وجه الخصوص وارى فيك شبابي ارجع للأستاذ التلمساني وقل له الخواجة نصحني بذلك وهو سيفهم قصدي فقد كان معي منذ لحظات تقدم واحب العزاء ، ويا ليتك حضرت مبكرا ولحقت به حتى يكون كلامي هذا على مرمى حجر من أذنه .

قال مختار وهو يستمر في ثقته هذا أمر محسوم يا معالي النقيب ولا مجال للجدال فيه .

وكانت لم تداس وبجميعة تعبر بها الجواحه أمسك بيد نوح و قترب من
اذنه هامسا وكانه سيدلى له بسر خطير مصر يا مختار لا تحمل فى هذه
الايام شعارات دينيه مصر ما صدقت انها خرجت من دوامة التطرف
أرجوكم لا تعيدوا هذه الأيام لو لم تسمعوا مسيحدث فى المستقبل
القريب صدام لا محالة بينكم وبين النظام بل ستصطدمون بمؤسسات
الدوله لمدته كلها واذا فعل الاخوان فعلتك وأصروا على المواجهة والمغالبه
بالشعار والاسلوب سيكون هذه هى بدايه النهاية للاخوان ككل الأمر
يحتاج الى فطنة لا إلى شجاعة

لم يأخذ احمد نصيحة الجواحة فقد اعتبرها مدبرة . وقد تكون كذلك .
إلا اننا لم نفكر حتى فى طرحها للنقاش . ولكننا فقط تناقلنا خبرها برعب
وانتشاء . فالجواحة بخلالة قدره يحشانا ويحاول ان يستقطبنا وكأنها
المجهول المخيف . وقد زاد من شعورنا بالفخر تلك السيجة التى اسفرت عنها
الانتخابات فعلى عبر ما توقعت القوى السياسية فى مصر فاز مختار
نوح بالمقعد الأول للشباب مراحما الكبار فى عدد الأصوات ومسبوقا بثلاثة
اصعاف تقريبا على سامح عاشور الابن الروحي لاحمد الجواحة الذى فاز
بالمقعد الثانى . وكان هذا الفوز هو قمة المفاجاة التى دفعت احمد نحو جة
ومجلسه . ولكن سلوان الجواحة لم يستسلم فقد دبر امرا وجرى تفاهما
مع مجلسه سيكون هو الصربة الأولى للاخوان

***

كان نوح قد جاب المحافظات والمراكز فى جولاته الانتخابية وقد ساعدته
هذه الجولات على اكتساب مريد من الأنصار بل كانت هذه الجولات هى
العامل الرئيسى فى تكوين الصف الاخوانى الكبير فى نقابه المحامين فقد
دخل إلى الاخوان من خلالها العشرات من المحامين واقترب من الإخوان
بصع مئات يتحلقون حول نوح الذى ظهر كقائد مستصر استطاع فتح تلك
بقفله الشرايين التى كانت دائ يوم بعيدة المنال عن الحلم الاخوانى

ودخول مختار نوح صاحب الثوب الاخوانى للمجلس بداب حقبة جديدة
فى نقابة المحامين وظهرت امام نوح مطلبه شرعية بعمل هو ومجموعته تحتها
ومن خلالها هى مطلبة لجنة الشريعه الاسلاميه وهى إحدى لجان العمل
النقابى فى نقابة المحامين كان من صمن اهدافها الرئيسية التى انشئت من

جنبها تعيين الشريعة الاسلامية وعمل ابحاث شرعية وقانونية لهذا الغرض

وبعد ان اقمنا الافراح ابتهاجا بهذا النجاح الذي اعتبرناه أسطورة من الاساطير حتى ان اليوم خاصم جفوننا اياما من فرط السعادة ـ ولم لا تعتبرنا الفرحة ؟ وقد اصبح نوح هو الفارس الأول من فرسان الاخوان الذين ولجوا بالتنظيم الى داخل النقابة كما يلج الجمل في سم الخياط ـ

احد بعضنا يتردد بشكل مستمر على مقر الاخوان المسلمين بالتوفيقية محاولا لفت الانظار إليه وكأنه يقول لكبار الإخوان انظروا نحن جيل الفتح نحن الذين فتحنا نقابة المحامين

ووقع في قلوبنا الظن ان النقابة قد خيرت لنا بلجانها ورجالها إلا اننا افقنا من احلامنا اللهيبة عندما بدأ النقيب الخواجه في تنفيذ الأمر الذي دبره مع اعضاء مجلسه . فقد بدأ في دعم سامح عاشور بكل ما يملك من قوة في الوقت الذي ابعد فيه مختار نوح عن كل لجان النقابة بما فيها لجنة الشريعة الإسلامية ، وقتها ادركنا ان قوسنا لم يخرج من كبده بعد وانا مازلنا في بدايه الطريق ولم نستو شجرتنا على سوقها

وبدأت المواجهة بين تيار الليبرالية المصرية الذي ضم تحت معطفه كل التيارات السياسية والإخوان المسلمين الذين رفعوا شعار نعم نريدها اسلامية وشعار من اجل نقابة تمنحها الاسلام صدق الوعود وتعيش بالاسلام ثبات الموقف صراع من اجل مساحة تتبعها جماعة الاخوان ومحاولة عنيدة من القوى التي لم تأعلاق الباب امامهم وقضائهم إلا ان الرياح أتت بما لم تشته السفن .

عودة الشيخ إلى التوفيقية

كانت الصورة توحي بمعركة مجلس نقابة يرفض بكامله إعطاء نوح مساحة يمارس من خلالها انشطته يرفض تسليمه لجنة الشريعة الإسلامية ونوح يعلن على المحامين كافة انه هو مقرر ومسئول تلك اللجنة النقابية . والصراع يحتدم .

وفي وسط هذه الأجواء عاد الحاج مصطفى مشهور من غربته التي قضى فيها خمس سنوات كانت حاسته الثاقبة وفراسته الصائبة قد ارشدته إلى ان الرئيس السادات سيقوم بالقبض على النجب من كافة الأطياف السياسية فغادر البلاد قبل اعتقالات سبتمبر الشهيرة عام ١٩٨١ . احد الحاج مصطفى

بحوب بلاد الله ويتقابل مع خلق الله حيث استضافته المراكز الإسلامية في امريكا ولندن وشرع وقتها في إقامة التنظيم الدولي للإخوان ثم عاد قبل ان يرتد إلينا طرفنا - او يرتد إليه طرفه - وكأنه لبث يوما او بعض يوم عاد إلينا بعرش التنظيم الدولي الذي انشأ بنيانه - او اعاده للوجود - وأنشأ لائحته

عاد عندما وجد ان الجو السياسي في مصر قد استطاب لأهلها من الاخوان وامن كل واحد منهم على نفسه وماله عاد الرجل من غربته ليجد المرشد التلمساني حرصاً في نزعه الأخير ، فاخذ يُقلّب ملفات الاخوان التنظيمية واوراقها ويبسط نفوذه هنا وهناك ، وكان ان وجد الإخوان قد قطعوا مسافة في النقابات المهنية وتوطدت أركانهم في الأطباء والمهندسين وبداوا يظهرون في المحامين فأوجس في نفسه خيفة ان يكون المرشد التلمساني قد جرى بهؤلاء بعيداً عن سطوة التنظيم ، فاسرها في نفسه ولم يبدها إلا لرجاله العتاة الأقوياء .

وكان لابد ان تجرى المقادير بما قدره الله فقد مات الأستاذ عمر التلمساني وافضى الى ما قدّم وبكاه من بكاه من الاخوان ومن غير الإخوان واستراح لموته من استراح من الاخوان ومن غير الإخوان ، وكأني سمعت - وقتها - الأستاذ فريد عبد الخالق الصديق الحميم للمرشد التلمساني وهو يقول لأحدهم مضطرا بصوت علقته رعشة الحزن إن صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وإن جزعت جرت المقادير وانت مازور

وكأني سمعته ايضا وهو يقول إن اخشى ما أخشاه على الجماعة أن تقع في يد من لا يحسن تدبير امرها فيقذف بها بعيدا عن منهج حسن البنا والتلمساني

ولكني سمعتُ أيضا اخرا وهو يقول لآخر وقد دان لهم موقع المرشد «والله لنتلقفها كما نتلقف الكرة ولن ندعها تقع من بين ايدينا ابدا»

واصبح الأستاذ حامد ابو النصر هو المرشد الرابع للإخوان المسلمين

في احد الأيام من شتاء ١٩٨٧ انتحى الحاج مصطفى مشهور - بعد أن اصبح نائبا للمرشد ابو النصر - بمختار نوح واحمد ربيع في حجرته المواجهة لصالة الاستقبال بمقر الإخوان بالتوفيقية (تلك الحجرة العتيقة التي شهدت احداثا جمة وكان المستشار مأمون الهضيبي يرمله فيها احيانا) كانت

احجره بسيطة المحتويات وكان الحاج مصطفى بصورته المعتاده التى لم تغيرها الاحداث ولحيته الخفيفة عبر المنطقة وطاقيه راسه البيضاء برنسه كعادته - صيف او شتاء - جلبه صيفية وعباءته الثوب الابيض لبرودة الجو كان يرتدى تحتها رداء من الصوف يقيه من البرد الشتاء ويحميه من نزلات الكحة الصدرية .

سحب الحاج مصطفى وقال وكأنه يصحح راتبه بصيغة أنوية امرة يسعى ان تكون حركتكم فى نقابة المحامين خالصه لجماعة وحدها دون غيرها .

وقبل ان يرد عليه نوح او يعقب اسطرد الحاج مصطفى ليس الأمر مجرد كلام ولكن اين العمل للدعوة ؟ اين المقار؟ التى يسعى أن تكون فى حجر الأساس ؟ اين المعسكرات الاسلامية ؟ هذه هى الستة التى منها ستنطلق الدعوة ومن خلالها ستتغلغل إلى الاحوان لآلاف من المحامين وسيكون الفتح إن شاء الله

قاطعه نوح وكأنه يستفهم ولكن اين نور العمل لنقابى لمتمثل فى الارتقاء بالمهنة وتقديم الخدمات للمحامين وإنشاء المشروعات النقابية ؟

قال مصطفى مشهور وهو يحدق وجه نوح بنظراته الثاقبة تستطيع اى واحد تقديم مثل هذه الاعمال النقابية لكن لن يستطيع غيركم تقديم العمل الاسلامى أنتم رسل الدعوه فى النقابة ، ولذلك فليصدع كل واحد منكم بأمر هذا الشعار لا تغادروه أبدا فى سبيل الله قمنا سنتى رفع اللواء ، لا نجرب قد عملنا نحن للدين هذا ، فليقم للدين وحده و نرق فيه بدماء

كاد قسم ان يحتار نوح تأثر بهذه الأفكار وقتها ، فقد أيقن ان فتح نقابة المحامين لن يكون إلا من خلال العمل الدعوى ولن تكون الدعوة الا من خلال الاحوان وحدهم دون غيرهم ولن يكون الاحوان إلا بتنظيم محكم . ولن يقبل الاحوان وجود اى حركة إسلاميه منافسة مهما كان قدرها . وعلى غير المتوقع ظهرت فى سماء نقابه المحامين حركة إسلامية منافسه ثارت قلق الاحوان

(ولكن التجربه عطت لنوح بعد ذلك بُعدا فكريا مختلفا . بُعد واسع الأفق عظيم الامتداد ولكن لم يمهله أحد فقد تعرض نوح فى مستقبل الايام بسبب افكاره لاقصاء وتجميد) .

مناظرة بين الإخوة الأعداء

ذات صبح لأحد أيام عام ١٩٨٨ انتشرت في حجرات المحامين بالمحاكم إعلانات عن تأسيس رابطة أطلقت على نفسها جماعة المحامين الإسلاميين ، كان أفراد هذه الرابطة ممن ينتمون إلى تجمعات إسلامية مختلفة مثل الجهاد والجماعة الإسلامية ، وكان بعضهم جذوره سلفية إلا أنهم كلهم يقفون موقف الاختلاف مع الإخوان المسلمين ، وبدأت أنشطة تلك الرابطة تنهض وتظهر بصورة توحي وكأنها المنافس الإسلامي للجنة الشريعة الإسلامية أو على وجه الدقة للإخوان المسلمين وظهر على رأس هذه الرابطة منتصر الزيات الذي كان قد بدأ خطواته الأولى في المحاماة بعد خروجه من السجن ومحمود عبد الشافي وهو شخصية إسلامية معروفة بين المحامين ولها حضورها ، وقمر موسى الذي كان أميرا للجماعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة في السبعينات وغيرهم

أثارت هذه الرابطة قلق الإخوان وخوفهم ، فأولئك المحامون ينتمون في الأصل إلى تجمعات حركية انتهجت العنف ودخل قادتهم السجون بعد اغتيال السادات وقد تضم تلك الرابطة بتاريخها المعروف كل التجمعات الإسلامية في النقابة ، بما فيها الإخوان ، بالعنف الذي كان قد استعدى ضده نفسية المصريين وغير هذا فإن تلك الرابطة بدت وفقا لحركة رجالها وحضور بعضهم كمنافس صلب لجماعة الإخوان بالنقابة ، فبعد أن كان الإخوان هم وحدهم أصحاب هذه البضاعة ورجالها في نقابة المحامين، إذا ببعضهم يظهر ويقول لهم ونحن أيضا نملك مثل بضاعتكم وسنرفع مثل شعاراتكم لا تثريب علينا إن فعلنا ذلك ، فلستم الوكلاء الحصريين للإسلام ، ولن تكونوا .

ولذلك بدأت الحرب الخفية المستترة بين الأشقاء ، وكانت الحرب تستعر نارها علنا في بعض الأحيان أمام العادي والرائح من عامة المحامين إلا أن الغلبة كانت دائما لفريق الإخوان ، فقد كان فريق منتصر الزيات وقمر موسى يفتقد الحنكة السياسية والقدرة على إدارة المعارك إذ كان كل همهم في المحاكم وبين المحامين انتقاد جماعة الإخوان والحط من قدرهم وتسفيه أحلامهم ، ومن ناحية أخرى كان مختار نوح قد قطع شوطا كبيرا في دعم حركته وتجنيد الأنصار لجماعته في كل المحافظات فلم تُجْد انتقادات المحامين الإسلاميين ولم تفت في عضد الإخوان الذين ردوا على الهجوم

بهجوم وشككوا في نوايا المحامين الإسلاميين وأثاروا الشبهات حولهم

وعندما اشتد أوار الصراع الاسلامي واحتدمت المنافسة بدا الوسطاء يطلبون من اصحاب النوايا الحسنة في التدخل للتوفيق بينهما ، فتم تحديد موعد للقاء قد يسفر عن مصالحة وقد ينتهي بقطيعة

كان شتاء عام ١٩٨٨ قد حمل متاعه واستعد للرحيل وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقبل ان يهل الربيع استعد مقر جماعة الإخوان بشارع حول حمال بمنطقة الألف مسكن القابعة على أطراف شرق القاهرة لاستقبال ضيوف عين عادين ، كان عم خليل فراش المقر قد جهز المقرمشات وشرائح متنوعة من المجبورات وادوات الشاي والبنسون والقرفة ثم غادر المقر تنفيذا للتعليمات التي تلقاها ، وقبيل صلاة العشاء بلحظات بدأ بعض أفراد يتوافدون على المقر ، كان مختار نوح ومعه خالد بدوي وجمال تاج أول الحاضرين ودخلت إلى المقر عقبهم مباشرة ومعي عبد السلام دياب (أحد المقربين من الاخوان وقتها) وسعد عبد العزيز فوجدناهم قد أقاموا صلاة العشاء فدخلنا في الجماعة ومن خلفنا اصطف عدد اخر كان قد دخل بعدنا وبعد التسليم من الصلاة نظرنا خلفنا لنرى منتصر الزيات ومحمود عبد الشافي وقمر موسى وقد دخلوا معنا في صلاة الجماعة ومعهم بعض نفر من المحامين المنتمين لجماعتهم

وبعد عبارات الترحيب والمودة الظاهرة التي كانت تخفي ترقباً بدأ مختار نوح الحديث قائلا إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له و أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى اله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا

يوم نجتمع لنضع حدا فاصلا للانقسام الذي لا ينبغي أن يكون أبدا بيننا . وقبل ان يكمل حديثه قاطعه خالد بدوي وهو يقطب جبينه لو سمحت يا اخ مختار أنا معترض على ما تقول

فقال مختار مندهشا ولكني لم اقل شيئا بعد

بادره خالد أنت قلت انقسام بيننا وليس بيننا انقسام فالاخوة من الجماعة الإسلامية من احب الناس إلى قلوبنا ، وأنا أشهد الله سبحانه وتعالى وأشهد الحاضرين ان اخي منتصر واخي محمود و اخي قمر والاخوة

كلهم هم احب الناس إلى قلبي ثم اطرق خالد إلى الأرض وقال وهو يكاد يهمس ألم يقل الله سبحانه وتعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)

يبتسم مختار وهو يقول صدقت يا أخ خالد ثم استدار للإخوة الحاضرين قائلا وكأنه يشرح لهم اخي خالد دائما ما يذكرنا بالله ثم استطرد نعم . لا يستطيع احد أن ينكر ان الحب في الله جمعنا واخي بيننا ولكنني أتحدث عن اختلاف العقول والأفهام وليس عن خلاف القلوب والأرواح اكمل مختار نوح حديثه انا ادعوكم للانضمام إلى لجنة الشريعة الإسلامية . لو انضممتم الينا سيشكل جمعنا قوة لا يستهان بها

وهنا قال محمود عبد الشافي يا أخ مختار يا اخ خالد انا معكم فيما تقولون لو أصبحنا كتابا واحدا لأصبحنا قوة لا يستهان بها ولكن لماذا لا تنضمون أنتم لنا ؟

وقبل ان يرد مختار نوح تدخل منتصر الزيات قائلا نحن واحد يا اخ مختار وانت صاحب فضل علينا فلا ننسى دفاعك عنا وعن إخواننا في قضايا الجهاد والجماعة الإسلامية ومرافعاتك التي تعلمنا منها الكثير لكن مسألة انضمامنا لكم مسألة فيها نظر فانتم تتبعون الاخوان ولكم قيادات اخوانية ومرشد وتنظيم جميعهم على رأسنا من فوق ولكن نحن لا نتبعهم فاذا صدرت اوامر لكم منهم فانتم ستلتزمون بها حتما ولكننا قد نرى عكس هذه الأوامر فلا نتبعها وهنا سنتشرذم وسنختلف ولذلك فالأولى أن تنضموا انتم لنا وسنعطي لك يا مختار القيادة لو أردت

فرد مختار وكأنه يتعجب ولكن ما عندنا عندكم فانتم لكم قيادات من غير المحامين

وهنا تدخل قمر موسى منفعلا لا يا أخ مختار هذا ليس صحيحا لا توجد لنا قيادات من خارجنا لا داعي للمغالطة

وقبل ان يحتدم الجدل دخل سيد عبد العزيز وهو يحمل الشاي والقرمشات وشرائح الخبز المتنوعة وقال بطريقته التي يختلط فيها الجد بالهزل «صلي على النبي أنت وهو وهو وهو احضرت لكم طعاما لم تروه في ... لكم من باب طعم الفم تستحي العين وصلوا على النبي»

صحت الجميع وانشغلوا بالشاي وبعد ان رشف خالد بدوي رشفة من

كوبه قال موجها كلامه لمنتصر الزيات على فكره يا اخ منتصر كنت أتمنى أن تكون إمامنا في صلاة العشاء اليوم ولكنك حضرت متأخرا بعد أن اقمنا الصلاة .

فقال سيد عبد العزيز ضاحكا بسيطة يا عم خالد نصلي العشاء مرة أخرى . ها عندكم مانع أرفع الأذان والاقامة ضحك منتصر الزيات ومحمود عبد الشافي من تعقيب سيد . ثم قال منتصر موجها الحديث لخالد بدوي يا مولانا لقد استمتعنا بصوتك الشجي وتلاوتك المؤثرة التي امكننا والله اتمنى ان اصلي وراءك العمر كله

فقال خالد وكأنه يستدرجه هل كان من الممكن يا اخي الحبيب أن تدخل فتجدنا في صلاة الجماعة فتتركنا انت ومن معك وتقيموا صلاة جماعة مستقلة وهناك جماعة قائمة ؟

فأشار منتصر لقمر موسى ومحمود عبد الشافي وقال يا عم خالد انا ليس لي في الفقه عندك قمر موسى له صولات فقهية

وهنا قال قمر موسى ماذا تقصد يا اخ خالد ؟

حينئذ اوشكتُ على التدخل في الحوار الا انني احجمتُ وفضلتُ التريث . فالصورة التي كانت تحط ملامحها امامي هي صورة جديرة بالتأمل والفحص والتنقيب . لا المداخلة والتعقيب . فها هم ابناء الحركة الاسلامية يجتمعون وقد علقهم الخلاف يبحثون أيهم يجلس في موضع الرئاسة ، وأيهم يكون صاحب الاسم والشعار ، ولكأنما كل حزب منهم بما لديهم فرحون . لا يقبل أحدهم ان يتنازل من أجل فكرته " وكيف يتنازل والتنظيم عندنا جميعنا مقدم على الفكرة " شردت بأفكاري بعيدا عن الجلسة ثم انتبهت على قول خالد بدوي وهو يُفصح عن غرضه من السؤال الحقيقة نحن وانتم نتعبد لله بهذا العمل ونحن جماعة بدأنا هذا العمل التعبدي قبلكم لذلك فمن الواجب ان تنضموا لجماعتنا لأنه لا يجوز شرعا إقامة جماعة وهناك جماعة قائمة

فبادره محمود عبد الشافي قائلا هذا قياس مع الفارق يا مولانا فتدخل قمر موسى قائلا بحدة بل هو قياس فاسد وإذا كان قياسك صحيحا فإن جماعة الإخوان يكون وجودها مخالفا للشرع لأن الجمعية الشرعية بدأت قبلها وأنصار السنة بدأت قبلها ايضا وقبل أن يستكمل كلامه نظر فوجد عبد السلام دياب يشعل سيجارة وكان دياب يدخن

بشراهه ولم تمنعه صلته بالاخوان من التوقف عن التدخين وعندما اشعل سيجارته سينكرها قمر موسى وقال بصوت حازم ولهجة توحي بانه يتهم الاخوان بالترخص فيما لا يجوز الترخص فيه لو سمحتم من اراد ان يشرب سجائر فيشربها خارج هذه الحجرة فهي حرام حرام وانا لا اطيقها فضلا عن ان محمود عبد الشافي عنده حساسية بالصدر

نهب عبد السلام ذياب من كلمات قمر موسى وبان الاحراج الممتزج بالغضب على محياه وكادت الجلسة ان تنقلب لمعركة كلامية فقد خرج فريق المحامين الاسلاميين بها - ومعهم بعضنا - من سياق الفكرة والتنظيم والاولويات وجاسوا حول الدخان وتساهل الاخوان بصدده وشرب الكثير من الاخوان له بما فيهم التلمساني - رحمه الله - وانتهت المناوشات بان غادر ذياب الحجرة مغضبا فلم ارد تركه وحده بالخارج فخرجت معه وخرج معي سيد عبد العزيز وبعد دقائق انضم إلينا جمال تاج وجدنا في الخارج نتجاذب اطراف الحديث نداعب بها عبد السلام ونتضاحك سوياً من حكايات وقفشات سيد عبد العزيز الذي كنا نطلق عليه سيد عبد العزيز صاحب الفقه اللذيذ

استمرت الجلسة بالداخل لاكثر من ساعة ثم فوجئنا بفريق الجماعة الاسلامية يخرجون وقد ارتسمت على وجوههم علامات الغضب وانصرفوا لا يلوون على شيء بعد أن القوا السلام بعبارات سريعة مقتضبة عابسة فعلمنا ان اللقاء قد فشل وان الانقسام هو قدر التجمعات الإسلامية

وبعد هذا اللقاء بعام تقريبا جرت وقائع اتحاد غريب الشأن بين هذين الفصيلين المختلفين اتحاد واتفاق لم يحدث بعد ذلك أبدا

الزلزال

آفة القديم - من جيل الأساتذة - أنه لا يتواصل مع الجديد ، وآفة الجديد - من جيل التلاميذ - أنه منبت الصلة عن القديم ، فلا هذا أعطى لذاك ، ولا ذاك أحد من هذا ولكن أستاذية النقيب الخواجة كانت تختلف عن غيرها فهي أستاذية من يريد ان يمتد عبر الزمن ، ويخلد في التاريخ ، والإنسان يمتد بعلمه أو بعمله أو بتلاميذه ، وقد امتد أبو حنيفة عبر الزمن بعلمه وفقهه وتلاميذه ، أما الليث بن سعد فقد انقطع رغم علمه وفقهه لأن تلاميذه لم يعتنوا بنقل علمه ، والذي يؤثر عن الخواجة انه كان مدرسة تصنع كل يوم

زعيما سياسيا أو نقابيا فارقها او محاميا حارقها ، كان هذا دأبه وديدنه وعلى امتداد عمره أخرجت مدرسته العشرات الذين اصبحوا بعد هذا أساتذة إلا أنهم لم ينهجوا منهج استاذهم واقتصروا فقط على صناعة انفسهم

ورغم استاذية الخواجة وابناء تلاميذه له إلا أن هذه الأستاذية لم تكن له وحاءً من الخلافات التي لم تشهد نقابة المحامين مثيلا لها فقد اشتد الصراع بين رجال حزب الوفد في مجلس النقابة حيث وقف البعض في جانب الخواجة وهو يمارس سطوته النقابية تجاه الفريق الذي اختلف معه ووقف البعض الآخر في جانب الفريق المختلف ومع تتابع الأحداث استطاع حمد الخواجة بعقليته التكتيكية احداث معظم أعضاء المجلس بصفه بمن فيهم الشاب الحركي الناصري سامح عاشور ، إلا ان مختار نوح الاخواني مكث عبر بعد بترقب الأحداث ويراقب الموقف دون ان ينحاز لطرف على حساب الطرف الآخر إذ ادرك ان الانحياز لأي من الطرفين فيه خسارة لا محالة .

وعلى حين غرة من فريق الخواجة استطاع الفريق المنافس ان يعقد جمعية عمومية سحبت الثقة من المجلس والنقيب ، ومن الغريب ان الخواجة لم يعر هذه الجمعية اهتماما رغم خطورتها ! .

ومن هنا بدأ فصل الربيع من عام ١٩٨٩ يخط خطوطه الأولى وينبسط بهدوء على الكرة الارضية حتى اعلن احمد الخواجة قراره بفتح باب الترشيح لدورة جديدة لمجلس النقابة قد تكون ، في طيه ، دورة لقصاء على المشاكل وأصحابها .

ثم كانت المفاجأة كان عدد من المحامين أعضاء جماعة المحامين الإسلاميين قد قدّموا أوراق ترشيحهم في هذه الانتخابات وعندما تسارعت الأحداث إذا بوفد منهم يتجه صوب مكتب مختار نوح يطلبون منه النصيحة في شأن الانسحاب من الانتخابات او الاستمرار فيها !! فكان للحاسه الانتخابية لمختار نوح الكلمه الفاصلة في هذا الشأن إذ قادته إلى تعليل قرار الانسحاب من هذه الانتخابات هو والمحامون الإسلاميون لشبهة بطلان التي أحاطتها بسبب سحب الثقه الذي حدث لهذا المجلس

وكان هذا هو العمل الوحيد الذي اتفق فيه الصديقان اللدودان الإخوان والجماعة الإسلامية

واجريت الانتخابات بالفعل في منتصف العام وفيها نجح الوجه الكئيب ونجح الألفة سامح عاشور كعضو في انتخابات شهد الجميع بالتزوير الفادح الذي تم فيها .

وبعد ثلاث سنوات عجاف عاد فيها الاخوان عن مجلس نقابة المحامين كانت صحيفة هذا الاسبوع عنوانا رئيسيا زلزال الاخوان بنقابة مصر

***

هذا الولد قفز به واسعة وبدو انه فجور بخصومه وزعامته وبحب ان يتم بتجميله كانت هذه هي كلمات الاستاذ محمد هلال عضو مكتب الارشاد (واحد كبار الاخوان سنا في الوقت الحالي توفي الاستاذ هلال فيما بعد)- اما الولد الذي كان يقصده فهو مختار نوح

كان عام ١٩٩١ يوشك على الرحيل وكان بعض من قيادات الإخوان قد بدوا في تضييق الخناق على نوح وتكبيل حركته وظهر هذا بتكتيل و تجميع عندما سعى الحاج مصطفي مشهور و الدكتور محمود عزت (عضو مكتب الارشاد ومن تلاميذ سيد قطب وكهله معتقل الطور الذي احتل قيادات الاخوان حاليا) والدكتور محمد حبيب (نائب المرشد في الوقت الحالي وهو المرشح الأول ليكون المرشد القادم وكان له الدور الاكبر مع حزبي في احداث مذبحه حزب فيما بعد) و الاستاذ محمد هلال الى ستصدر قرار من مكتب الارشاد بتعيين شكيل لجنه برئاسة محام مجهول من حسن كبار الاخوان اسمه محمد كمال كان يعمل في السوق محاميا بأحد المكاتب بدوله الكويت ليكون مسئولا عن نشاط الإخوان في نقابة المحامين ورئيسا لهذه اللجنه التي كان من المقدر لها ان تدير هذا النشاط وتُصرّف موره . وصدر القرار بالفعل إلا انهم فوجئوا من نوح احد اعضاء هذه اللجنة كان لكل يعلم ان الاستاذ محمد كمال لا خبرة له على الإطلاق في اي امر يخص نقابة المحامين ولا حتى المحاماه في مصر . كان الرجل لا يعرف السباحه ولكنهم القوا به في بحر لجي لا انهم حذروه من الانسياق لتيار نوح او الانسحاب لافكاره بعد ان فشلت ربح انتخابات ١٩٩٢ جعلت محمد كمال رحمه الله يسعد - بحث أمره - مور الانتخابات بهذا شاب الذي جر خصومه ونال الاستاذ بتصميمه بقيه بقر من قيد به

فكان بين شقي الرحى وليس من شك ان الباحث في شئون جماعه الاخوان سيدرك دون مشقه في البحث و تسقيب أنه بعد رحيل التلمساني بدأت الخطوب تتهادى على مهل على نوح

***

قبل فتح باب الترشيح لانتخابات نقابه المحامين و التي تمت في سبتمبر ١٩٩٢ انعقد اجتماع هام لقيادات الاخوان المسلمين على اعلى مستوي في مدينة الاسكندرية وقد ضم هذا الاجتماع قيادات قسم المهيين لنظر في امر هذه الانتخابات ، وفي هذا الاجتماع العاصف اقترح محمود نوح ان يخوض الإخوان لانتخابات نقابة لا يزيد عدد افرادها على ستة أفراد لا غير وكانت حجته في ذلك ان نقابه المحامين تمثله من قلاع التيارات الليبرالية في مصر تختلف في تكوينها الفكري وجذورها التاريخيه عن نقابتي الأطباء والمهندسين ، وأن خوض الانتخابات بقائمة متجمعه بالاخوان من شانه ان يهدم المعبد على رؤوس الجميع إلا أن الدكتور عبد المنعم ابو الفتوح المشرف وقتئذ على قسم المهيين بالاخوان ومعه المهندس ابو العلا ماضي رفضا هذا الراي واصرا على ان الفرصة مواتيه لتحقيق نجاح ضخم في نقابه اغلقت ابوابها زمنا في وجه الاخوان المسلمين .

ما الأسماء التي طرحتها قيادات الاخوان لكي ترشح في نقابه المحامين ممثله لهذه الحركه الاسلاميه فقد كانت عربيه عجيبه اولها احمد سيف الإسلام حسن البنا الذي كان يحظى بتاييد مطلق من كل من الحاج احمد حسنين رحمه الله والاستاذ محمد فلال ، ورغم ان سيف الاسلام لم يكن يعمل بالمحاماة وكان يمارس التجاره وكل مؤهلاته انه ابن مؤسس الجماعة ، إلا ان ترشيحه في نقابة المحامين كان امرا صعبا عند البعض حيث ان هذا الرجل كان كثيرا ما يسبب مشاكل جمه لقيادات الاخوان فرايوا ان يبعدوه عن اي موقع قيادي او تنظيمي في الجماعه فادخلوه إلي نقابة المحامين بتاييد حاسم بعد ان ابعدوه عن عضوية مكتب الارشاد وقد كان الترشيح لعضوية مجلس نقابه المحامين وسيله لاسترضائه !

ما الثاني فقد كان مولدا من قسم المهيين وهو محمد طوسون (الذي كان لا يعمل ايضا بشكل حقيقي في المحاماة حيث كان يدير مع شقيقه معرضا للسيارات في مدينة المنيا إلا انه كان في السابق ضابط مباحث في

احد مراكز المنيا حتى تم فصله من عمله وحبسه عشرة شهر تقريبا من منتصف عام ١٩٨٢ إلى قبيل منتصف عام ١٩٨٣ وكان ذلك بسبب علاقته بالجماعة الاسلامية وبعد خروجه من السجن تنقل بين اكثر من تنظيم إسلامي حتى انتظم في سلك الإخوان في غضون عام ١٩٨٦ ، ولانه ينتمي الى عائلة كبيرة في المنيا فقد دفعه الإخوان لانتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٧ فاصبح عضوا بالبرلمان ثم تم دفعه إلى انتخابات مجلس نقابة المحامين لكي يكون اللجام الذي يكبح جماح نوح اذا ما اندفع بعيدا عن توجهات التنظيم وسيظهر لطوسون شأن فيما بعد)

وهكذا توالت الأسماء (والعجيب ان هذه الأسماء تم طرحها على اجتماع للجمعية العمومية لمحامي الإخوان في اجتماع لاحق بمقر الإخوان بشارع حول جمال بمنطقة الألف مسكن بالقاهرة إلا انها لم تحظ بأي تأييد على الإطلاق حتى ان أحمد سيف الاسلام حسن البنا حصل على صوت واحد من مائتي صوت ولكن لم يلتفت احد لرأي محامي الاخوان وكان السبب الذي ارتكنوا اليه في هذا الالتفات هو ما زعمه البعض - خاصة احمد سيف الاسلام - ان مختار نوح قام بتوجيه الأصوات الاخوانية وفقا لما يشاء هواه وبذلك فقد اصبحت نتيجة التصويت ليست محل اعتبار) وتمت الانتخابات وفقا لرؤية قسم المهنيين وبقائمة تضم عددا لا علاقة له بالمحاماة

ولاسباب كثيرة - ليس هنا مجال ذكرها - نجحت قائمة الاخوان بشكل اصاب العالم بذهول ، فكان هذا هو الزلزال الذي اصاب القوى السياسية والنقابية التي تربعت زمنا على رأس العمل السياسي والنقابي

كان هذا هو زلزال سبتمبر الذي جاء من بعده الزلزال الحقيقي في اكتوبر من نفس العام (وفي الحقيقة كان هذا النجاح هو اول بداية انهيار جبل الجليد الاخواني في نقابة المحامين)

***

حلف الفضول

هل كان نوح مثل بروميثيوس الاغريقي الذي انشد نشيد النجاة قائلا سأعيش رغم ضراوة الأعداء كالنسر فوق القمة الشماء ، اما انه كان مثل سيزيف في الأسطورة الاغريقية ، حيث كان عقابه أن يرفع صخرة من القاع حتى قمة جبل شاهق، وقبل ان يصل بقليل يسقط منه لأسفل ، فيعود ليبدأ

من جديد بلا نهاية " فسنعلم ان مختار نوح مازال يحمل الصخرة على كتفيه باصرار غريب ليصعد بها إلى اعلى الجبل ولنعد اليه في عام ١٩٩٦ حينما بدأ في حمل صخرة الجهاد ضد الحراسة التي مقتها المحامون وانكروا الجرم الذي اقترفه الشابون في حق نقابتهم

كان بعض المحامين قد احكموا امرهم وخططوا ودبروا ثم اقاموا دعوى حراسة على النقابة وكان هدفهم ابعاد مختار نوح وفريقه عن مقاعدهم كاعضاء بالمجلس وكان لهم ما ارادوا فقد تم فرض الحراسة على نقابة المحامين اقدم واعرق نقابة مهنية في مصر

حينها جمع نوح حوله نفرا من اصدقائه من الاخوان ومن خارج الاخوان ليزيح الحراسة عن كاهل النقابة . استخدم نوح كل الوسائل السياسية والقانونية والنقابية لتحقيق ما يريد . فقام - مثلا - بطبع وتوزيع مجلة نقابية اطلقنا عليها اسم المحروسة فضح فيها الحراسة واسبابها . كما قام بتشكيل لجنة نقابية وسياسية اطلقنا عليها لجنة المائة تضم رموز المهنة وكان في مقدمتهم الأساتذة احمد نبيل الهلالي وعبد المحسن شاشة - رحمهما الله - وهما من رموز اليسار المصري وكان في اللجنة ايضا محمد علوان مساعد رئيس حزب الوفد وجمهرة من الرموز لها قيمتها ومؤهلاتها الفكرية والحركية ومن عجب ان رموز المحامين الذين ينتمون للإخوان عابوا عن هذا النشاط ولم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل فلم نر محمد طوسون او بهاء عبد الرحمن او اسامة محمود او احمد سيف الاسلام حسن البنا او جلال سعد أو غيرهم من اعضاء مجلس النقابة العامة من الاخوان كما لم نر جمال تاج او محمد غريب او صبحي صالح (وهم من الرموز الاخوانية التي بدأت العمل في النقابة مع نوح) " وكانت من الافكار التي وضعناها موضع التنفيذ إقامة دعوى قضائية تطلب انهاء الحراسة إلا اننا وضعنا اسم محاميه ناصريه هي الاستاذة فاطمة ربيع على صحيفة الدعوى كي نعطي الانطباع بان كل القوى السياسية تناهض الحراسة

وفي غمرة انهماكنا بمشكلة الحراسة توفي الأستاذ احمد الخواجه نقيب المحامين رحمه الله توفي في العشر الاواخر من شهر ديسمبر من عام ١٩٩٦ وكانه ينزل النقابة في شهر البرد رهنا للتجميد لتزيد البرودة في وصالها المتيبسة

لم يكن امامنا بعد وفاة الغيب إلا البحث عن دليل يملك بعض معلوماته فقد كنا نوقن ان هذا الرجل لن يتم تعويضه في سنوات معدوده . وفي رحلة البحث عن الدليل نراءى لنا من بعيد احد نجوم المحاماه واحد اساطينها ، لاقد د ظهر لنا في الأفق الاستاذ رجائي عطيه الذي خطف وبدا فقد ت به تعرض بضاعته وتعرض بضاعته ولربما كان هذا اللقاء هو لقاء الاحلام او لقاء السحاب فقد كنا نحلم بانهاء الحراسه وعوده لشرعيته عن طريق صلاته لسياسيه وعلاقته بحضيمه بالنخبه الحاكمة وكان رجائي نحلم - بعد وفاه لخو حه سيوسد كرسي الغيب لنجمع بين المجد المهني و لمجد السياسي

وقبل ن يرفع شهر مايو من عام ١٩٩٦ رايه الاستسلام ويفسح الطريق لشهر يونيو حبلى مع الاستاذ رجائي في لقاء حفله لمودع حيث عرض ما بدله ووعدده إن هو فعل فحتما سيوده كنقيب للمحامين وفي اللقاء الثاني بقن بنا رساله طمأنة من القيادة السياسية بان الحراسة ستتم رفعها عن كاهل النقابة وبدا رجائي في المفاوضه معنا على لسان لحكومة - او دائره منها - وكان يوح بطبيعته لنحال بعرض امر هذه لمفاوضات على مرشد لاخوان ومكتب الارشاد وقد وجد صعوبه كبيرة في اقناع قيادات لجماعه بقبول مساندة رجائي في مقابل صدور قرار من الجهات المختصه في الحكومه بانهاء حاله لحراسة ومن عجب وقف محمد طوسون وجمال ناج ضد مساندة لرجائي عطية الا انها د فعنا بكل قوة عن هذا الاختيار وكان بنا في نهايه ما ربب ووافق الاخوان على الدخول في تحالف مع رجائي عطيه تحالف يرفع فيه شعار المشاركه لا المغالبه

لا ريب ان الاستاذ رجائي اندي فرحته بقرار الاخوان وظن نه اصبح في مكنون نفسه دهشته حين قال له خالد سنوي وهو يطرق إلى الأرض وما هو الضمان الذي ستقدمه لنا يا استاذنا كيف نضمن انه لن يتم القبض علينا وحبسنا بعد انتهاء الحراسه ؟

نظر الله رجائي شذرا وهو يقول ضمان ! اي ضمان ! ثم استرسل في لهجه حديره هل تريد ن اكتب لك شيكا مثلا !

استمر خالد في اطراقه للأرض وحديثها قال احمد رسم تالضبع لا ولكننا نريد ن نقسم معاً إن لم القبض علينا او على احدنا قبل الانسحاب ن تعلن انسحابك من هذه الانتخابات وبعد كلمات أحمد رسم وضعت

ايدينا على يد الأستاذ رجائي الذي أقسم بما طالبناه به ، ثم قال خالد بدوي بعد أن أقسم : الله على ما نقول وكيل . فردد الجميع خلفه : الله على ما نقول وكيل . تكررت وعود الاستاذ رجائي بقرب إنهاء الحراسة إلا ان وعوده لم يتحقق رغم اننا عقدنا مؤتمرا ألفيا له في فندق هيلتون رمسيس حضره اكثر من ألف محام وجلس على المنصة رموز من رجالات الدولة بجوار مختار نوح ورجائي عطية وأعلن نوح تأييد الإخوان لرجائي على منصب النقيب و اعترف بخطأ الإخوان في الاستحواذ والسيطرة على مقاليد الأمور في النقابة وإقصاء القوى السياسية الأخرى . ورفع لأول مرة امام الرأي العام شعار المشاركة لا المغالبة . ووعد رجائي بأن الحراسة لن لها أن تذهب ادراج الرياح وتحدث الجميع عن قرب تحقيق الحلم . ولم يتحقق الحلم عن طريق رجائي ولا عن طريق صلاته السياسية ولم يتحقق وعوده المتكررة "

وبعد عامين صدر حكم - في القضية التي اقمناها باسم فاطمة ربيع - من إحدى المحاكم العليا بانهاء الحراسة المفروضة على نقابة المحامين . ولم يكن رجائي صاحب الفضل ، ولكنما اراد الله ان ينسب الفضل لأصحابه أولئك الذين جاهدوا وبذلوا وقدموا

بعد صدور الحكم النهائي بأيام كنت جالس في بيتي صباح يوم الجمعة الثالثة من شهر اغسطس عام ١٩٩٩ منشغلا بقراءة الصحف وإذا برنين الهاتف يقتحم خلوتي . كان المتحدث هو الصديق عاطف عواد احد افراد الإخوان من المحامين واحد المقربين من مختار نوح . كان صوته مرتبكا مضطربا ثم ساق لي خبرا مزعجا . تعرض مختار نوح لحادث مروع على طريق السويس وقد مات سائقه في الحادث وتحطمت سيارته تماما . اما مختار فقد تم نقله لإحدى مستشفيات مصر الجديدة في حالة حرجة

الفصل الرابع

بوابة الأحزان

«عندما أغلقوا عليه الزنزانة اشتد صوتُ الألم بداخله ، فرفع صوته حتي لا يسمعه .. وظل يرفعه ويرفعه حتي تمزقت خلاياه .. وحين ظن الناس انه يتأوه من زنزانة صخرية الجدران او من سجان صاحب سحنة غليظة اشار بيده إلي أخيه الذي جلس يأكل لحمه ويقتات علي سيرته».

كرستي

هل ستتصيع امر ، ن تلخص امامنا مشحونه بالاحد ث و بوقائع في بضع سطور دون ن يتسرب شارده او و رده ؟ هل في مكنة لانسان ن يذكر كل وقائع يامه بلا حتصار مخل او تطويل ممل ؟ لا ريب عندي ان هذا هو عين لمشقة التي تنوء بحملها فصحاء الفصحاء وهاهي كرستي امامي تلك الكرستة التي دونت فيها كل شارده وواردة مرت عليه في تلك لايام العصيبة فهل ستطيع بقلبه بكاملها ان انا فعلت فسجور علي وقائع حري ، وإن لم افعل ستكون قد ظلمت نفسي وصمت رجالا قدموا بركوا حياتهم وموتهم ومكابدتهم من جل نصرة احرار لهم سنا . فدرهم ن تحتسبو في تهمه سياسته هاهي كراستي تعيد لي ذكري ايام مضت ثم لم يفكر فيها . انا وبعض احوالي ، في دنيا بصنيعها او بقدير بندبه لنا مرشد او مسئول حو ني كنبر ، ولكن بصرف جل همنا لهؤلاء لذين يدفنون صحبه الخلاف السدسي لذي اشتد قبضه وحمي وطيسه بين لاحرار والنظام ، من يستخلصهم من محبسهم ؟ من يعدهم الي اهاليهم ؟

بكدس عشرات كراسات في حرائتي تلك الكراسات لتي كانت وما ر ت الصديق لوفي الذي افزع اليه وابثه اشجاني واحزاني وارف إليه افراحي كنت في جنديه ما مر بي وما مررت به وفي كل حين أعود لي كراستي فاجدها مستودعا سري لم تبح به لأحد في حد حراء كراستي وحدت بصفحات لنالمه قرابت ان اقفلها هنا دون ان انتسر او حتصر منها او صنف لها لعنها تلقي الضوء علي لأحداث التي عشتها وعشت فيها وقسد

(, صافحت ولما سنحكمت حلقاتيا فرحت ثم صافحت مره حري يبدو

ن هذا هو حال الدنيا تضيق الأمور عليها ثم تفرج ثم تضيق ولو دامت الدنيا على شيء ما بقي فيها شيء قالها مختار نوح وهو يدري شهقة الم صدته ثم تقطعت أنفاسه وهو يقول لم يكد يخلص على حكم بالبراءة لحراسه وقلنا كلنا فرحنا وكنا نظنها لا تفرج حتى عاجلتني هذه الحادثة المؤلمة هل تصدق مات السائق الى رحمة الله في طريق بعض السخنة وهما مقطورة صخمة فحطمت السيارة و صاب صلوحي وسافي بالدي نراه الان كل هذا يهون وتهون لسيارة ولكن ان يموت السائق مسكين ابنه .. رحمة الله عليه.

بادرته قائلا و با ذكر في وقتي على كتف عاطف عواد الذي كان جالسا بجوار سرير مختار في عرفته يستشفي بدر هون عليك فهذا هو قدر الله . نحمد الله في السراء والضراء اتذكر يوم ان كنت تلقي محاضره عن سنوات عن لآيه الكريمة (ان مع العسر يسرا) فقد لفت نظرنا الى أن الله سبحانه وتعالى لم يقل إن بعد العسر يسرا ولكن معه يأتي العسر ويرافقه اليسر يسير في ركابه ولكننا قد لا نرى اليسر لأن العسر يعمي بصائرنا

رفع نوح وهو يقول في نبرة لفظ مع عاطف عواد الحمد لله

عاد نوح لي الكلام مرة اخرى بعد ان طرد احساس الالم من دحنه عرفت ان ورقة العدل طعن على حكم ابنها. لحراسه امام محكمة النقض و على ان الجلسة ستكون في عصون شهر سبتمبر القادم ويجب ان نستعد لجلسة بكل قوتنا .

قاطعه عاطف لا تقلق فنحن لها يا عزيزي لا تشغل بالك

نظر نوح إلينا نظره امتنان وظهرت على وجهه ابتسامة ثم قال عرفت الخيوط الأمنية اتت وراء قضبه إنهاء الحراسة ارسلت محاميا من مكتبي ليستمع لجلسة لاحضره من بعيد وسهت عليه بعدم الحضور إلا ان الحماس دفعه الى الحضور امام هيئه المحكمة وشاب اسمي في محضر الجلسة وطلبنا عرف الأمن .

رفعت كفي علامة الاطمئنان وقلت بعدم اكتراث لا يهم كانوا سيفعلون حتما واظن انهم يعلمون فعل ذلك فالعصفور من حولنا في سفاة لا هم لها لا بجميع الاحمار

استكمل نوح وهو ينظر إلينا نظرة إصرار المهم أن يكون على هذه الاستعداد ومن الممكن أن نتفق مع الأستاذ رجائي عطية كي يحضر جلسة النقض ويجب عليه أن يجري مفاوضات مع الحكومة من أجل تنفيذ الحكم فقد وضعنا في موقف حرج عندما عجز عن إنهاء الحراسة بقرار سياسي أن له الآن أن يذهب لوزير العدل وينهي هذا الأمر ومن باب أولى يجب عليه أن يحضر في جلسة النقض .

أطمئن سنذهب إليه وسنتفق معه على حضور الجلسة بعد قالها عاطف وهو يشير لي كي ننهي الزيارة حتى لا نثقل على الرجل وهنأ ان نغادر غرفته بعد أن ارتحمت سافات الزهور قال وقد أغمض عينيه أشكر لكم هذه المحبة سيعقبها محن أخرى فقد رأى أحدهم رؤيا لي كان تأويلها أنه سيمر في ثلاث محن أدعو الله أن ينجيني فيها جميعا

اللهم آمين قلناها نحن وعاطف ثم انذهب قائلا لا تحزن فكل أمر المسلم خير لا تفكر في أمر المستقبل فهو بيد الله ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج .

وبعد أن ودعناه خرجنا إلى الطريق ولمحت عن أعمدة النور تلمع وحولها طوى صفحات كراستي ونكتبي لا أستطيع أن أطوي بذلك الأيام و صفحها في عيناه لحظ . فجأة التقت أحدق بحمة من تلك الأحداث التي و جهتني حتى مثلته حتى الآن أمام ناظري شاخصة أمام فؤادي بل إن هذه الأحداث خلقت أحداثا وأحداث و حدثت أثرا كبيرا في حياتي أثرا فريدا لم يتصور حتى أن أصل إليه ولربما يضيق الخيال على اتساعه وجرأته ويعاجز تصوراته عن أن لم يرد في الحسبان أو الخيال وحين أعود مرة أخرى إلى كراستي أجد في موضع آخر منها الصفحات التالية تتحدث معي وكأنها تحاورني وتذكرني بعد حاولت أن أنساه

((كان يوم الخميس الرابع عشر من أكتوبر من عام ألف وتسعمائة تسع وتسعين كسابقه من أوله فلقد مر بي ظاهر أصابني حالة وجوم في أغرب ما يكون الي لاكتئاب رغم أنه لم يكن هناك ما يستدعي ضيق الصدر أو الوجوم بل إن الأسابيع الماضية كانت تحمل بشائر الخير فقد كللت محكمه النقض جهودنا بالنجاح وأصدرت بعد أيام معدودة بحكما بهذا قضى بوجوب إنهاء الحراسة المفروضة على ثلاثة المحامين وقضت طعن الحكومه

بعد جلسه عاصفة حضرناها وحضر معنا فيها رجائي عطية ، وبات بتعقد الحكم مسأله وقت لا أكثر ، ومن ناحيه أخرى بدانا في إعداد العدة من أجل الترتيب للانتخابات القادمة وكانت جهود الأستاذ رجائي عطيه تمثلت في المفاوضه معنا بلسان الحكومه عن العدد الذي يجب ان تخوض الانتخابات به والحكومة - وفقا للأستاذ رجائي - تطالبنا بألا يزيد عدد المرشحين من الاخوان عن ربعة ونحن نحاول معه كي يصل العدد إلى ستة أو سبعه على اكثر تقدير ولم تكن المفاوضات قد اغلقت صفحاتها بعد .

في نهار الرابع عشر من أكتوبر أو كاد وقبل الغروب بلحظات تصاعدت دقات تليفون المحمول لتخبرني ان إبراهيم بكري يطلبني وحين فتحت الخط جاء صوته مضطربا إلحق يا أستاذ ثروت . تم القبض على مختار نوح وخالد بدوي وإبراهيم الرشيدي وآخرين من الإخوان قبل عصر اليوم

اصابتني رعدة وجعل قلبي وأنا أقول في ذهول نعم أين ؟ ولم ؟ .. وكيف . ؟

- لا أعرف التفصيلات ولكن اتصلت بي منذ دقائق زوجة الأخ خالد بدوي لتخبرني بهذا الخبر حاولت في الاتصال بك منذ لحظات ولكن يبدو أن هاتفك كان مغلقا .

قلت له وانا لا اكاد أبين هل تم القبض عليهم من بيوتهم ؟

- لا كانوا في المعادي في لقاء .

ثم صوتي وأنا أقول وما الذي أوجد إبراهيم الرشيدي معهما ألم يكن مسافرا ؟؟ أليس يعمل في الخارج الآن(١)

عاد صوت إبراهيم بكري الأخش يقتحم أذني مرة أخرى هو في أجازة الآن كان من المفروض ان اكون معهم في لقاء سأحكي لك عنه عندما نلتقي ولكن الظروف منعتني من حضور هذا اللقاء . انا الآن ذاهب إلى بيت الأستاذ خالد بمدينة نصر

قلت وانا انهي إنهاء المكالمة سأسبقك إلى هناك .

وعندما كانت سيارتي تسابق الطريق وتتحدى الزمن عبر الهاتف بشيء

---

١ كان ابراهيم الرشيدي مبعوثاً بمجلس نقابة المحامين بالسودان ممثلاً للإخوان المسلمين وعندما ضاقت به سبل المعيشة سافر للعمل في احدى دول الخليج وقد كان ذات يوم احد المتحمسين الذين ساعدت مختار نوح في تأسيس لجنه الشريعه الاسلامية بنقابة الإخواني

تأرجحت بين المشاعر والافكار مع تأرجح السيارة اثناء قفزها في الطريق كانت مشاعري تلطم قلبي وتزلزل كياني وتحملني إلى قطعة ملتهبة من الثورة والغضب والحزن والكمد والكرب ولكأنما تجمعت الخطوب على فؤادي فأحالته أثرا بعد عين ، وليت الأمر كان وقفا على مشاعر بشرية مشروعة بثها الله في افئدتنا حتى نواجه بها نوازل الأيام ، اذ اقتحمتني افكار ادخلتني إلى اتون من الحيرة كيف تم القبض على مختار وخالد وإبراهيم ؟ وأين ؟ ولماذا ؟ ولم لم يكن إبراهيم بكري معهم آنذاك ؟ وما هي الظروف التي منعته فجأة من حضور لقاء يتصادف القبض على مختار فيه؟! يا الله ايعقل هذا ؟(٢)

وفي بيت خالد بدوي عرفت القصة أخبرتني زوجته انه ذهب برفقة مختار وإبراهيم الرشيدي إلى اجتماع في ضاحية المعادي ، اجتماع لقسم المهنيين في الإخوان المسلمين وكان قد تم الاتفاق على عقد هذا الاجتماع في مقر اتحاد المنظمات الهندسية للدول الإسلامية والتي يخضع مقرها في مصر لإشراف نقابة المهندسين .

وعند حضور إبراهيم بكري عرفنا منه أنه كان من المقرر ان يذهب معهم لهذا الاجتماع الذي كان سيناقش بعض الأمور التنظيمية الخاصة بانتخابات نقابة المحامين ورفع الحراسة عن باقي النقابات المهنية

خرجت من بيت خالد وقد غامت الدنيا امام ناظري ، اغالب دفقة من البكاء خرجت من مكنون ذاتي وأرادت ان تجهش وتعلن عن نفسها إلا أنني كتمتها حتى حين ، وحين دخلت مسجد موسى بن نصير انفردت بربي و جهشت بالبكاء)) .

محنة السجن

ويح قلبي مازال يخفق حين يمر من امامه تلك اللحظات الشجية وكأنه يلح عليّ من فرط خفقانه أن أتوقف الآن عن النقل من كراستي ، فليس في طوق خافقي الذي محب الخُرقُ أثره ان يستمر في استعادة تلك المشاعر الغضة

---

٢ ابراهيم بكري كان تلميذاً لمختار نوح يعمل في مكتبه ثم انضم عن طريقه للإخوان المسلمين وكان ابراهيم لفترة طويلة لا يغادر مختار نوح في ليل او نهار وكان يتنقل معه في كل المحافظات ويحضر معه كل الاجتماعات حتى ان الإخوان اطلقوا عليهما «مختار نوح وتابعه بكري»

مشحونة بالشحن التي غرقت في لجتها انذاك ، إذ عندما أستعيد هذه الأيام تنساب الدموع ترفق من عيني رغما عني

وإذ أخرج من لجة المشاعر أجدني أمام صفحات أخرى من كراستي تتحدث عن سبب الاجتماع التنظيمي الذي تم القبض عليهم فيه ، فقد كان من المقرر أن يناقش هذا الاجتماع خطة الانتخابات والتحالفات التي أعددناها ووافقت عليها في القسم وهاهو ما تضمنته تلك الصفحات من كراستي

((كانت محاور الخطة التي أعددناها والتي كان سيدور النقاش بشأنها في هذا الاجتماع تتلخص في عدد من المرشحين لا يزيد على ستة أما من حيث التحالفات فقد كانت تدور حول افساح الطريق للقوى الوطنية المختلفة للتعبير عن نفسها عن طريق تحقيق شعار المشاركة لا المغالبة بشكل حقيقي لا يقف عند حد الشعار ولكن ينزل إلى ارض الواقع .

لم تكن هذه الخطة بطبيعة الحال ترضي الكثير من الإخوان ، وكان أحمد سيف الاسلام حسن البنا من أكثر المعترضين عليها إذ انها من الممكن ان تطيح بفرصة في الترشيح - بل إنها كانت ستطيح به بالفعل - ، كما كان جمال تاج من اوائل الواقفين في صفوف المعارضة ضدها ، وكان محمد طوسون بطبيعته المتجنية - كضابط مباحث سابق - يقف ضد هذه الخطة من طرف خفي اذ من الممكن في حال تطبيقها ان تطيح به هو الاخر وتمنعه من الترشيح لعضوية المجلس كان أحدهم يرغب في تدمير هذه الخطة ووأدها

ولم يكن في طوق أحد وقتها الوقوف ضد مختار نوح في إصراره على تنفيذ خطتنا وهو الذي يحظى بالتأييد المطلق من المستشار مأمون الهضيبي نائب المرشد - وقتها - وكانت مسألة عرض الخطة على قسم المهنيين مسألة شكلية فقد تم الحوار مسبقا مع معظم افراد قسم المهنيين وتهيئتهم لقبول الخطة وقبول أسماء المرشحين من الإخوان وكان أبرزهم بطبيعة الحال مختار نوح وخالد بدوي ولم يكن فيهم أحمد سيف الإسلام حسن البنا ابن المرشد الأول حسن البنا وفي أثناء عرض مختار لخطة القسم قامت قوة من جهاز امن الدولة بمداهمة الاجتماع والقبض على كل الإخوة والغريب أن جهاز أمن الدولة قام بالقبض على بعض الاخوة الذين كانوا قد غادروا الاجتماع مبكرا وإخوة لم يحضروا الاجتماع اصلا إلا انه أيضا أغفل القبض على اخوة اخرين غادروا المكان منذ الخطاب قبيل المداهمة وكانوا

تحت بصر الأمن !!))

حتما أعود إلى حديث المشاعر فصفحات كراستي مشحونه بها ، وقد لا أدري اقوم الآن بالنقل من كراسه أم اقوم بالنقل من فؤاد حمل بعضهم بعض ما فيه ؟ وأنكروا البعض الاخر " يقول الشعراء إن المتنبي مات حتف انفه بسبب بيت من الشعر كتبه في الحبر ، فحين لقي عدوا له هم بالفرار فقال له عدوه انفر وانت الذي قلت الخيل والليل و البداء تعرفني و لسيف والرمح والقرطاس والقلم فعاد إليه المتنبي فقاتله فقتل أما مشاعري فهي التي أحيتني فيما بعد ، فإذا كان الحبر في غير موضع يقتل حينا فإن القلب ومشاعره في موضعها تحيي في أحيان أخرى وهاأنذا انقل من كراستي احداثا حاملها المشاعر وتداخلت فيها

((لكل إنسان نفسية تحب وتبغض ترضى وتسخط تستبشر وتجزع .. تحزن وتسعد تنوحى وتهزع واظن ان المشاعر تنتاب الإنسان فرادى فمن العسير أن تتجمع المشاعر المتناقضة كلها في ان واحد وفي لحظه واحدة في نفس واحده ولكن العسير حدث واستبق كل المشاعر المتناقضة في تلك اللحظه التي رأيت فيها مختار نوح وخالد ندوى وفيما بحت الأصفاد قيد الحبس فبقدر ما كانت مشاعري تجاههما مشاعر حب ورضا وبقدر ما سعدت بصحبتهما واستبشرت بالخير دائما حين كنت اقدمها بقدر ما كرهت وسخطت وبغضت الظلم الذي وقع عليهما

كان المشهد مؤلما في مقر نيابة امن الدولة بمصر الجديدة وكان الأكثر ألما أن رأيت مختار وخالد ومن معهم من الاخوان وهم يدرون من سيارة الترحيلات والأصفاد تكبل أياديهم والجند يدفعونهم صوب الباب الحديدي الذي يودي إلى حجرة الحجز ، وإذا كان ألم الحسد يلاشي حين تحذيره فليس ألم النفس بقبل تحذيرا او تعسما . ورغم محاولاتي المضنية التي بذلتها من اجل إخفاء ملامح الألم والحزن التي كست وجهي إلا أنني فشلت فقد معنى الابتسامة التلهاء التي بدت على في حين ان ملامحي كانت مصلوبة على مذبح الألم ، وكيف يذهب الحزن خلف السحاب والسحاب قد انسحب من وطأة الوجوم

هوّن عليك يا متى فما هي إلا أيام وسنعود إلى بيوتنا قالها نوح وهو يبث الطمأنينه في نفسه ونفسي ثم اتكأ على عصاه وهو يناولني منطقه قائلا

من فصل حد هذا المعطف الان الى بيتى ثم ضحك مسترسلا فهو مركة عدليه من تبير كاردان ولا ينسى ن يحضر لى من البيت ملابس بيضاء لزوم لسحن ولكن قل لهم ملابس لسحن ماركه إيف سان لو ال واربعت ضحكه لتحق فى سماء الردهة الكبيرة سيانة امن بدوه بالدور الدنى لتى تفرع عنها حجرات السادة اعضاء النيابة

كانت الردهه مسنة عن اخرها بالمحامين الذين تفاخروا من كل صوب وحدب وكان كل يقربنا يلتف حول محتار الذى ظهر الإعياء عليه خاصة وان ضروفه لصحيه بعد الحادث الذي وقع له من شهرين قد تاثرت بشكل كبير الا ان معنوياته المرتفعة كانت تخفى هذ الإعياء عن عيون الجميع وحين تركت محتار لتحدث إلى لجمع الذى التف حوله يسالهم عن رحانى عطه و بن هو " وبعد لم يات " سمعت بعضهم يقول انه لآن فى قرية ماريت " بالساحل سمعدلى و بن البعض اخبره بما حدث وانه سيأتى غدا ولدن يطلب من كل لاخوه لمفوض عليهم ان يمتنعوا عن الإجابة عن اسئلة النيابة ويحضرون غو بهم فى طلب التاخير لحين حضور محاميهم الأستاذ رحانى . اقتربت من خالد بدوى وهو يمسح جسمه مُي قطرات الماء لتى تحلقت من وصوبه ، بسمت و نا اربت على كتفه حسبها بفرحت اساريره عن ابتسامة عريضة ، ل مداعب بداى والسامسه بحفو بها وجهه وبمص بها شرايبه اتذكر يوم ن كنت صحبت معى وافول ربنا ها يودنى المحكمة فهههه ليوم ربنا ودانى المحكمة

بدبسه لصحل وانا افول ليست المحكمه ولكن النيابة نيابة امن الدولة امر محكمه فيدعو الله الا يدهب إليها .

قال بسكينة يا سيدى لا تقلق ولا تحزن مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتب عليه خطى مشاها كل شيء بقدر الله لا يقع فى ملك الله إلا ما يريد وما هه من تنازع فى هذا ؟ لا يقع فى ملكه إلا ما يريد وما نشاءون إلا أن يشاء الله

سمعت صوت حد المحامين وهو يقول الأستاذ خالد بدوى مطلوب فى الداخل لبدء التحقيق

رافقته و نا افول له سنطلب التاجيل لحين حضور رحانى غدا هل بديك خطه دفاع معينة .

سار الى جانبي وهو يهمس ليس لدينا إلا لا إله إلا الله سبحان الله وبحمده اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ومن بعد سنكون بتذكرة فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر

وبدأت التحقيقات في اليوم التالي مباشرة وفي حضور الأستاذ رجائي وجمهرة من المحامين حيث تم تقسيم المتهمين بيننا فحضرت كل مجموعة مع أخ من الاخوة وكان من نصيبي ان حضرت مع خالد بدوي ومختار نوح ثم تنقلت بين حجرات التحقيق فتارة اجلس في التحقيق الذي يدور مع الدكتور محمد بديع وتارة اخرى احضر في التحقيق مع إبراهيم الرشيدي وهكذا دواليك كانت التهمة التي واجهت بها النيابة الإخوة المقبوض عليهم هي الانتماء لتنظيم سري غير شرعي وتحريك هذا التنظيم وسط الجماهير بقصد التغلغل في منظمات المجتمع المدني ، والتخطيط لخوض انتخابات النقابات المهنية ومنها نقابة المحامين وقد تم القبض على المتهمين اثناء اجتماعهم التنظيمي الذي كان يجهز العدة لما سبق وبذلك - وفقا لنيابة امن الدولة - تكون الأدلة قد تجمعت على ارتكاب المتهمين إحدى الجرائم المعاقب عليها في قانون العقوبات وقد شارك في القبض على المتهمين بعض رؤساء نيابة امن الدولة اذ وردت تحريات مسبقة للمباحث تفيد تفصيلات هذا الاجتماع وظلت القوة التي رافقت النيابة كامنة بالقرب من مقر الاجتماع حتى حضر مختار نوح وخالد بدوي فتم مداهمة المكان والقبض على الجميع ، وكأنما كانت الاجهزة الأمنية تنتظر الصيد الثمين لتنقض عليه وكان لها ما ارادت ، قررت النيابة حبس المتهمين خمسة عشر يوما ويراعى لهم التجديد في الميعاد

كان هذا هو القرار الذي اصدرته النيابة وفور صدوره نقلته - ومعي احمد ربيع وإبراهيم بكري - للأستاذ رجائي عطيه الذي لم يكن قد غادر مبنى النيابة بعد فغمض عينيه وشهق شهيقا عميقا كأنما يلملم قواه وقال لا صبر سأقابل النائب العام وسأنهي هذا الأمر برمته في جلسة التجديد القادمة اطمئنوا سيتم الافراج عنهم لا ريب عندي في ذلك هذا وعد

غادرنا الأستاذ رجائي عطيه وذهب إلى شأنه فانصرفنا من بعده بعد أن ودعنا مختار وخالد إلا اننا انصرفنا الى مكتب احد المحامين من الاخوان حيث كنا - قسم المحامين في جماعة الاخوان - قد حددنا موعد فيما بيننا للاجتماع من اجل تحديد الواجبات والمسئوليات في الفترة القادمة

كان العدد الذي حضر الاجتماع كافيا لاتخاذ القرارات وإسناد المسئوليات. وكان أول المتحدثين هو محمد طوسون الذي طلب اختيار أحد أعضاء لجنة السبعة ليكون مسئولا عن قسم المحامين، ونظرا لأن أحمد ربيع كان هو الأمين العام لتلك اللجنة فقد تم اختياره وفقا للائحة ليكون هو المسئول الموقت لحين خروج مختار وأن عليه وفقا لهذا التكليف أن يدير القسم ومعه لجنة السبعة التي تشرف على القسم.

لم تكن الرئاسة حلم أحد منا ولم نفكر أحدنا فيها فقد كان حلمنا الأكبر هو خروج مختار وخالد إلى الحرية. وكانت وعود رجائي عطية بالإفراج عن الثلاثي مختار وخالد وإبراهيم الرشيدي أمرا يقيننا عندنا فنهجه الرجل وهو يتحدث في هذا الشأن كأنت حاسمة وقاطعة لا ريب فيها. ورغم ذلك اعترض محمد غريب على إسناد الرئاسة لأحمد ربيع وقال إنه يجب أن يتم انتخابات في القسم لتحديد الشخص الذي سيتولى الرئاسة بشكل موقت إلا أن طوسون قال له بحسم: يا أخ محمد بينوا أنت اعتقدت أن الرئاسة هنا ستكون بشكل دائم. يا أخي اعلم أن أحمد سيكون في موضع المسئولية بشكل موقت ولن يستمر في موقعه هذا. وأدعو الله أن يخرج مختار سريعا ليسترد مسئولياته أما مسألة الانتخابات هذه فتكون حين يكون الاختيار بشكل نهائي.

قال أحدهم موجها حديثه لأحمد ربيع: يا أستاذ أحمد ليست المسئولية تشريفا ولكنها تكليف. ومن أجل ذلك يا أخي الكريم يجب أن نتحرك على كل الأصعدة. يجب أن نمارس ضغوطا سياسية ونقابية تساعد الأستاذ رجائي على إنهاء هذا الأمر برمته والإفراج عن إخواننا.

بادر أحمد ربيع وكأنه فكر في هذا الأمر من قبل أو وافق على هذا وبذلك يجب أن نتصل بكل الأطياف السياسية والنقابية. نتصل بخصومنا قبل أصدقائنا نتواصل مع الجميع وندعوهم لحضور جلسة التحديد القادمة. لا

شك ان هذا الحضور سيشكل ضغطا على الجهات المسئولة

امسك طرف الخيط من احمد وقرر هذا سعي أن يعقد مؤتمرات يومية في محاكم القاهرة من اجل تثوير عموم المحامين وإثارة الحمية فيهم فمحمد وخالد هذان الذين وقفا وقفة تاريخية في موضوع عبد الحارث مدني و شعلا ثورة داخل النقابة من اجل مقتل احد المحامين نجب لا يساهما المحامون لا يريد بحشد الذي سيحضر جلسة لتجديد حشدا بحتوب فحسب ولكن يريده حشد شعبيا جماهيريا لعل الجهات المسئولة تعدل عن التصعيد وتفرج عنهم خوف من ثوره المحامين نجب ان يشعلها ثورة

واحدث الاقتراحات تتوالى وتزداد الحمية وتفر الحماس من عروقنا واحدنا يضع تصورات لكيفيه وضع الاقتراحات موضع التنفيذ ، لا ان هذا الحماس لم يخف شعلته ظهرت في عيون البعض فقد كان بعضهم يخفي في حبيبه نفسه فرحه عامره بحس مختار وخالد ، ولم يستطع كلماتهم لمعانقه بحبيه مصطفيه احد تلك السعاده التي تفرت من عيونهم ونفذت من خلال السنتهم رغما عنهم فما اكثر لسعر احمد رمي حيرت ان تضبط بقبضه عيونه فان الدل هو الأخر يخرج من عين صاحبه ويتم عن اسراره بداخله

توالت المؤتمرات اليوميه في محاكم القاهرة وفي غرفات واستراحات المحامين وفي مقر النقابه العامه ولا اطيش مخالف إذا قلت ان هذه المؤتمرات حدثت استنفارا للمحامين من كل الجهات والتوجهات ، وفي ذات الوقت قمنا بتشكيل فريق عمل كنت احد افراده وضم محمد طوسون واحمد ربيع وابراهيم بكري وبهاء عبد الرحمن وكانت مهمه هذا الفريق الاتصال بكل الناشطين من القوي السياسية ومن النخب الوطنية من المحامين ومن غير المحامين والتنسيق معهم من اجل دعمهم في قضيتنا قضية إخواننا المحبوسين واخر قابلناه منهم

وجاء يوم تحديد الحبس وتجمهر حلق كثيرون امام مقر النيابة واردحمت ردهات النيابة بعشرات من المحامين وعشرات من الصحفيين وعشرات

من نشطاء حقوق الانسان كان احمد نبيل الهلالي وقف مع حمدين صباحي وبحو رهف منصور لربيات ومعهم عبد العظيم المغربي من تحالف لحامير بعرب والدكتور إبراهيم صالح واحمد عبد لحفيظ وكامل مبدور وسيد شعبان وسامح عاشور الكل على قلب رجل واحد الكل يحاسب نفسه لبي سيدلي بدفاعه فيها عن مختار ومن معه كانت كلمات الاستاذ رجائي لوائحة التي همس بها في اذاننا قبل بدء الجلسة تبعث قدرا من الاطمئنان في انفسنا وكأنها نبوءة اطمئنوا فكل شيء على ما يرام و سوف سنحقق غايتنا إن شاء الله

تو بت الأفكار على حاضري تمور بالمشاعر بعد إذ سمعت نبوءة رجائي هل كانت نبوءة أم رجاء ؟ هل كان حلما فحاطرا فاحتمالا ؟ وهل سنحقق النبوءة في زمن اقتطعت فيه لمحررات ؟ ليس من المستطاع ان يتحول الحلم إلى حقيقة بمجرد التمني وهل يوجد لمطالب بالتمني ام انه يوجد عدالة هل نصدقنا رجائي ويكون قد بذل جهدا سياسيا ام انه يراهن على جهده القانوني ؟ الكل يعلم أن مسألة القبض على تلك لمجموعة لها حو سبها السياسية لتي يقف على نجوم لجوانب القانونية فالي بن سيذهب بنا رجائي ؟

يقطع حبل افكاري حين بدأت جلسة التحديد وحين النداء على القضية ارتجفت عرفة التحقيق التي مثل فيها مختار حتى انه جمعنا وقفنا بمراصين كالموج لملاطم اذ لا مكان يسع لجلوس احد وتر فع يومها عن نوح اكثر من عشرين محاميا يتقدمهم رجائي عطية وكذلك كان الأمر بالنسبة لخالد بدوي

وبعد انتهاء لمرافعات وقفنا في طرقات الساعة وقلوبنا تخفق بالرجاء ونتمنى بالتمني ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه خرج القرار باستمرار لحبس لمدة خمسة عشر يوما اخرى ، وحين بحثت عن رجائي لم أجده))

((حين رأيت الدنيا من حولي يرتاد ظلامها مجدثت مع احمد رشدي ونهاء عبد الرحمن واتفقت معهما على ان نذهب إلى رجائي عطيه في مكتبه نقف على خبر نقيبي بشأن لافراج عن إخوتنا ، ونظرا لأن نهاء يرتبط مع رجائي بروابط عمل فقد طلبنا منه ان يحدد لنا موعدا وعلى الفور اجرى نهاء مهمته وحدد الموعد ، وفي الموعد المتفق عليه ذهبنا جميعا ، وتصادف ان كان مع نهاء احبوا جمال برعي فذهب معنا وفي مكتبه الكائن بعمارة الاتوبيسيا

بشارع شريف جلسنا نتحاور معه . كان جمال برعي حادا ومندفعا مع رجائي وقال له بالحرف : انت وعدتنا كثيرا يا استاذ رجائي ويجب أن تبذل جهدا كبيرا من اجلنا هذه المرة ليس من اجلنا ولكن من اجلك انت . من اجل مشروعنا المشترك . حاولت ان اخفف من حدة كلمات جمال برعي فقلت لرجائي : اذكر انني سمعت يوما الدكتور القرضاوي وهو يتحدث عن العقلية الجمعية فقال انه وهو بعد صغير اشترك في مظاهرة وعندما امسك احد المتظاهرين حجرا وقذف به واجهات المحلات فعل كل المتظاهرين مثل ذلك وكان من عجبه ان يحتى هو الاخر وامسك مثل الجميع حجرا وفعل مثلما فعلوا . وانا اخاف ان يغضب احد اخواننا من المحامين من استمرار حبس مختار وخالد فيمسك حجرا ويقذفه على مشروعنا الذي بنيناه سويا ، وحينئذ اخاف ان يفعل مثله باقي الاخوان فيقفون ضدك في الانتخابات . يجب يا استاذنا الفاضل ان تبذل كل ما تستطيع . نحن نحبك ونتمنى ان يقف كل صفنا معك .

فاجاب رجائي بانه يبذل كل الجهد وانه يتحدث مع شخصيات سياسية كما يتحدث مع النائب العام وان امر الافراج ناجز ولم يتحدث في الجلسة الماضية نظرا لأن تقرير خبير الاصوات عن التسجيلات الصوتية للحوارات التي كانت تدور بين المقبوض عليهم في الاجتماع التنظيمي لم يكن قد تم الانتهاء منه بعد وانه حينما سيتم الافراج عنهم في الجلسة القادمة خاصة وان تقرير الخبير على وشك الانتهاء . ثم وجه رجائي حديثه لجمال برعي وقال له يا اخ جمال انت في بني سويف ولا تعلم ما افعله انا من اجل مختار وخالد وابراهيم الرشيدي ، وبدلا من ان تلومني انا وجه اللوم لمختار وخالد . أتعقل هذا يا جمال يا برعي ؟ ما الداعي لكي يحضر مختار اجتماعا تنظيميا في هذه الأيام ؟ .

وهنا تدخل احمد وقال : يا استاذ رجائي هذا اجتماع لقسم المهنيين وكان يناقش امر خطتنا الانتخابية . كنا نريد ان نحصل منهم على موافقة نهائية بعدد المرشحين الذين سيمثلون الاخوان .

كمل بهاء عبد الرحمن كلام احمد وقال وهو يصحب ضحكته المعروفة عنه : عموما ربنا ستر كتب انا واحمد ربيع في طريقنا لحضور هذا الاجتماع لكن تم القبض عليهم قبل ان نذهب . انا عن نفسي احببت عند مترو الاتفاق

كانت مسئوليتك ستتضاعف لو تم القبض علي

نظرت إلي نهاد ونحن مرحره نضحكنا واضطررت إلي مقاطعته وقلت لرجائي لو سمحت يا استاذ رجائي لو ساعدك في مقاومة تلك الرغبة من هذه الانسحابات كلها بحيث لا يكون لنا فيها لا باقه ولا حمص فستفعل

فوجئ رجائي بكلامي ويبدو انه فهم منه انني سأنسحب وسأترك الانسحابات كلها بما تعني أنا لن دعه معه فكاد أن يقفز من مقعده وقال لا لن نصل الأمور إلي مثل هذا أنا لا اقبل انسحابكم وسيخرج محمد حتمي في الجلسة القادمة سيخرج)) .

إلي العسكرية

تحتاج هذه الفترة إلي كتاب مستقل نحكي ونغوص ونحلل فلا يمكن أن نحشد فيها هذه السطور أو نقتصر احد فيها ولا تحدث به ولكنه قد تستخرج هم وقلبه لتبعث فيها الحياة من جديد فتروح لنا بأسرار مخبوءه بكاف الكثيرون على طمسها وقد كتب اغلب باقي صفحات الكراسة وحدث هذه الفترة بهامه لعلها تكون خير شاهد علي ما حدث من ناس أو ناحية لعلها تلقي الضوء علي أيام أراد لها البعض أن تدفن علي نسيان

(نحن الآن في شهر نوفمبر من عام ١٩٩٩ والأيام تمر بطيئة وكئيبة لا تمر في هذه الأيام تستبد مكتبتي وتستبد أعصابي وعجزت عن توجيهي وعن أبنائي قرة عيني مرام ويحيى هذا أعتبر نفسي في مهمة سلامته وهل هناك أعلى قيمته من رجل يسعي وجه الله في أخوته فيكون لهم وشفاء من عوز الأيام كان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه انصر أخاك ظالما أو مظلوما وأنا انصر حتي المظلوم أنا في عادة مستمرة في هذه الأيام وأرجو من الله سبحانه وتعالي أن يخرجني عنها وتكون نهاية إلي الجنة لا توجد نوادر نسيء عن قرب الافراج عن محمد وخالد وبرغم من العكس هو الصحيح فمن رجائي يصدق ؟ أخاف من طريقته معه شعر أنه يصب الماء البارد علي نار المشتعلة حتي نهدأ أنا أحب رجائي جدا واحترمه كرجل قانون وكمفكر بارز وتمنى أن يكون نقيا المحامين وأن يكون زوال لغمة علي بلده ما رب كل معنا وساعد رجائي في سعيه وبارك له في هذا السعي واجعله في ميزان حسناته

اليوم هو الخميس وقد حدث شيء غريب كنا في مؤتمر بمحكمه شمال

القاهرة . ألقيت كلمة وسط عشرات من المحامين لدفعهم إلى اتخاذ موقف حاسم يعيد للمحاماة أيام مجدها . ذكرتهم بموقف مختار في حادثة مصرع المحامي عبد الحارث مدني وقلت لهم إما أن تكون أو تظل عشرات السنين تحت رحمة السلطة التنفيذية . كان بعض المخبرين من جهاز من الدولة يجلسون وسط المحامين ويسجلون كل كبيرة وصغيرة وحين خرجت إلى موقف سيارات المحكمة لأركب سيارتي وجذب السائس عم أبو زهرة يسرع لي السيارة ويفتح لي بابها وهو يهمس في أذني : يا أستاذ ثروت سلم لي على الأستاذ مختار . فكلنا نحبه ولن ننساه وربنا يخفف عنه . أستاذ ثروت أريد أن أنقل لك خبرا هاما .

قلت له خير يا عم أبو زهرة ؟

قال والتأثر بادئا عليه : أخبرني محمود الفقي مخبر أمن الدولة الذي كان يرصد مؤتمركم في المحكمة اليوم أن قرارا سيصدر اليوم بإحالة مختار وإخوانه إلى المحكمة العسكرية .

نظرت إلى أبو زهرة بفزع وقلت له غير معقول . هذا تحريف . محمود الفقي كان يعبث بعقلك . لا تصدقه .

وعندما ركبت سيارتي اتصلت هاتفيا بإبراهيم بكري وأخبرته بما أخبرني به أبو زهرة واتفقت معه على أن نذهب إلى رجائي في أي مكان يكون فيه ، وعندما اتصلنا برجائي وجدناه في محكمة دار القضاء العالي فذهبت إليه وأنا أقود السيارة بسرعة جنونية . وحين التقيناه أنا وإبراهيم أخبرته بما وصل لي من معلومات فنظر لي وكأنه ينظر إلى رجل في عقله خبل وقال بابتسامة : مخبر وسايس يا ثروت . سايس سيارات يهذي فتصدقه "

كنا نجلس في استراحة المحامين وكان يجلس بجوارنا أحد الأصدقاء من المحامين من غير الإخوان اسمه أحمد حلمي فقال هذا الصديق لرجائي : لن تخسر شيئا لو أجريت اتصالاتك لتسأل عن هذا الأمر . افعل هذا حتى تطمئن قلوبنا .

فأمسك رجائي هاتفه المحمول وأجرى اتصالا مامنا ثم خرج من الاستراحة لينفرد بمكالمته وبعد هنيهة عاد إلينا وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقال بصوت جهوري ليسمعه كل المحامين الذين كانوا يجلسون بجوارنا : لم يحدث شيء ولم ولن تكون هناك إحالة للمحكمة العسكرية وسيتم الإفراج عن

مختار وخالد وإبراهيم في الأسبوع القادم هذا خبر وليس أمنية

وفي أول الليل عقدنا أنا وأحمد ربيع وإبراهيم بكري اجتماعا مع محمد طوسون في أحد المقاهي بشارع الألفي بمنطقة وسط البلد حيث تناقشنا في كل الأحداث التي مرت بنا في هذا اليوم واخبرناه بذلك الخبر المزعج الذي نشرت بنا عن إحالة مختار ومن معه للمحكمة العسكرية وقلت له رد فعل رجائي فلم يعقب إلا بهمهمات وابتسامة ليس لها معنى ثم انتهى الاجتماع قبل منتصف الليل بقليل ، وفي الطريق إلى بيتي قمت بشراء كل الصحف اليومية والمستقلة التي ستصدر صباح الجمعة والتي تخرج طبعاتها الأولى في الليل ، وفي غرفة المعيشة جلست أقرأ الصحف وأنا أتحدث مع زوجتي تارة وأدعو الله بصوت مسموع تارة أخرى يا رب يكون خبر إحالة إخواننا للمحكمة العسكرية خبرا غير صحيح وعندما وقعت عيني على إحدى الصفحات الداخلية بجريدة الأهرام وقعت عيني على خبر صادم (إحالة قضية مختار نوح إلى المحكمة العسكرية) اسكتيني الصدمة وحين سألتني زوجتي لماذا سكت قلت لها يا الآن مثل ذلك التلميذ الذي أخذ يدعو الله قائلا يا رب تكون بارتس عاصمة لبنان وعندما سألته أمه لماذا تدعو الله هذا الدعاء قال لها لأنني أحبها هكذا في الامتحان ونحن ما زلنا نصدق وعود الأستاذ رجائي رغم أنه أصدر قرار بإحالة مختار ومن معه للمحكمة العسكرية ، عرف هذا القرار السائس ومختار من الدولة ولم يعرف به رجائي أظن أنهم يخدعونه ويحك يا يوم الخميس فقبل ثم تقبض عليهم وقبل تمت إحالتهم للمحكمة العسكرية))

***

حين أستعيد ذكرى هذه الأيام يقفز الدم في شرايين قفز حتى يكاد وجهي يصطبغ باللون الأحمر ، ولم لا وقد كانت كل لحظة من لحظات تلكم الأيام تحمل خبرا أو حدثا أملا أو إحباطا خوفا أو تهورا وحين أمسك كراستي لأنقل منها شعر كأن قلبي هو الذي يقلب صفحاتها فقد كانت هذه الكراسات بعضا من نبضي ومكنون ذاتي ، وحين أدلف إلى تلك الكراسة التي استودعتها أحداث المحاكمة العسكرية فإنني أستعيد معها سراحا خافت الضوء من أحداث لما تزل بعض شفرات أسرارها في رحم الغيب وإذ كنت على وشك أن أطوي بعض صفحات الكراسة لأذهب إلى

صفحات اخرى وقع بصري على سطور بهت مدادها ولكن احداثها لم تبهت او
ت زالت ماثله في وجداني ولا اجدني في حاجة الى كتابه مقدمه لهذه
سطور ولكني انقلها هنا كما هي

(انحن الان في منتصف شهر نوفمبر جلست لاكتب هذه الكلمات قبل
منتصف الليل ، ت في الصباح فقد كانت المحكمه العسكرية تنظر امر تجديد
حبس احوانا من المحبوسين وكان الاستاذ رجائي عطيه قد اخبرني واخبر
كل لاهوه به اجري اتصالات وانهم جميعا سيفرجون عن المحامين محمود
وجديد وابراهيم وللاسف لم يتحقق وعده ، هذا الرجل صديق ، ليس عندي
ذره شك في اخلاقه فهو شخصيه جديره بالاحترام ولكني اشعر انه يفتقد
لحنكه سياسيه ، ويتحدث عن هدوء بعض افراد من المقربين من دوائر السلطة
يكررون وعودهم له وهو لصدقه يصدقهم ولكن هل يجب ان يصدقهم ايضا ؟
بعد جلسه تجديد الحبس التي انتهت قبل صلاة الظهر وقف الاستاذ رجائي
على باب المحكمه العسكريه بالحي العاشر وهو يبدي له من قرار تجديد
الحبس وكان يقف معه عدد من المحامين من فريق عمله الاستاذ وهو الاستاذ
مصطفى محمود المحامي المصري وكان يقف معهم ايضا عدد من المحامين
من اصدقائي وبعد انصراف الاستاذ رجائي جاء لي صديقي الذي كان
يقف معهم واخبرني ان مصطفى محمود كان يتحدث عن الاستاذ رجائي
حزينا فقال له , ولا يهمك يا استاذ رجائي وحتى لو تم حبس المحامين حبسا
نهائيا فسوف يقف معك الاحوان و بناء فوق راسهم لان مدافعا قد سامح
عشرة خصومهم التاريخي) ولم كنت لا احب ان يكون الحديث فوق راسي فقد
اصطحبت حمد ربنا وامر قلبي بكرة ودهشه في أول الليل بي مكتب رجائي
وقلت له ما وصلني فامر بحدوثه وقال إنه غير مسئول عن كلام مصطفى وانه
لا يقبل هذا الكلام ثم قال خفف على يا عم ثروت " عدت الى بيتي
و جاسيسي ثيرة ويعسسني مهتاجه وحين هدأت اقرا قصيدة هاشم
الرفاعي " رسالة في ليله السفيد وقد هزتني ابياتها هزا وقد سرحت معها
من دون بيت الليل من حولي هدوء هائل والذكريات تمور في وجداني الى
الشيب الذي قال فيه انا لست ادري هل سيذكر قصتي ام سوف يغفرونها
بحبي بسيان ** ام انني سأكون في تاريخنا مستمرا ام هادم الاوثان
وبعد ان قرأت القصيده فكرت في إخواني المحبوسين كنت كأنني انا

المحبوس لا هم ، شعرت بالاختناق وكان الهواء يفد من حولي ورغم محاولاتي إخفاء حالة الضيق والكدر التي انتابتني عن زوجتي إلا أنها شعرت بي فطلبت مني أن أعود لمصحفي وأقرأ بضع آيات من القرآن لعل الله يخفف عني ففعلت وقرأت واسترحت .))

عندما أتذكر تلك الأيام واسترجع أحداثها أشعر وكأنها كانت حلماً من الأحلام ، وكأنني كنت بين اليقظة والمنام . أحقاً كان ما كان وحدث ما حدث ؟ في تلك الحياة عشت ما سلف أم أنني كنت أنداك في زمن آخر وفي دنيا أخرى ؟ ولكنني فيء إلى يقظة فتحدثني نفسي أن أغلق صفحات كراستي فاستعاده الأحداث وإن كانت لها قيمتها إلا أنها تبكي جراحاً وتستعيد مواجع رقتي وسالت مدامعي تلك المواجع التي أردتها أن تذهب أدراج النسيان ولكن وكأن تلك الصفحات التي أردت وأدها والتي تحتوي على تاريخ كاد يروى ، ترفض أن تروى . وها أنذا أعود إليها مرة أخرى فأجدني أمام ذلك الحدث الذي أفردت له جزءاً في الربع الأخير من تلك الكراسة

((في اليوم التالي انعقد اجتماع للجمعية العمومية لمحامي الإخوان يحضر في هذه اللجنة رؤساء المكاتب الإدارية لمحامي الإخوان بالمحافظات وأعضاء لجنة السبعة المنوط بها إدارة المهنة . جلسنا جميعاً في مكتب بهاء عبد الرحمن بمنطقة عابدين وكانت تبدو الاجتماع يدور حول وجوب انتخاب لجنة من بيننا تدير أزمة جيش مختار نوح وإخوانه من المهنيين وبها أيضاً كامل الصلاحيات في إدارة انتخابات المحامين بحسب أن الانتخابات تعتبر جزءاً من الأزمة وسيما في جيش مختار ومن معه ، كنت في هذا اليوم أبدو شارد الذهن وفي الحقيقة أنني كنت أكاد لا أسمع كلمة واحدة مما قيلت ، حتى أنني لم أشترك في الحوار الذي كان يدور بين الإخوة والتزمت الصمت طوال الجلسة وقد أثار صمتي دهشة أحمد ربيع وظن أنني مريض ولكنني كنت في أشد الحاجة إلى الانكفاء على نفسي وتدوير الأفكار في عقلي . كنت أمارس مع نفسي عصفاً فكرياً . وحين انتهت وعدت من خلوتي النفسية وجدت الانتخابات قد بدأت ورغم أنني أعطيت صوتي لأحمد ربيع إلا أن أحمد أعطاني صوته وكانت النتيجة هي انتخابي بالإجماع - عدا صوتي - رئيساً للجنة وانتخاب عدد من الأعضاء معي هم أحمد ربيع وإبراهيم بكري وبهاء عبد الرحمن وجمال حنفي ممثلين للقاهرة وعدد آخر من الإخوة ممثلين

لبعض المحافظات

وبعد أيام من هذا اللقاء كان من المقدّر أن نذهب للقاء المستشار مأمون الهضيبي لمناقشة خطة الانتخابات الجديدة وكنت قد تخلفت عن هذا اللقاء إلا أن الاخوة الذين حضروا وعلى رأسهم احمد ربيع اخبروني انه حدثت مشادة بين احمد والمستشار الهضيبي وكان سبب هذه المشادة هو رغبة المستشار في ترشيح الأستاذ احمد سيف الاسلام حسن البنا لعضوية مجلس النقابة وتغيير الخطة من المشاركة إلى المغالبة وقد اعترض احمد لأن احمد سيف لم يحصل في الانتخابات الداخلية بيننا إلا على صوت واحد ، وبعد هذا اللقاء صدر قرار من المستشار الهضيبي بعزل احمد من رئاسة القسم وتعيين محمد طوسون بدلا منه والاكتفاء بعضوية احمد في لجنة الانتخابات واصبح طوسون رئيسا للقسم وصرت أنا مسئولا عن ادارة لجنة الأزمة ولجنة الانتخابات

بدأنا عملنا في لجنة ادارة الازمة كنا مجموعة من الرفاق اجتمعنا على عمل لله من اجل نصرة مظلوم تعاهدنا من اول لحظة ان يكون الإخلاص سبيلنا والمحبة زادنا والاخوة في الله هي صلتنا وكان اول تحرك لنا هو السعي لاقامة علاقات طيبة مع الاعلاميين والصحفيين وبالفعل تعرفت على عدد كبير من الصحفيين من الذين كانوا على خلاف مع الاخوان ولكني وجدتهم من افضل الناس خلقا بعد ان كنت اظن انهم اكبر خصوم للحل الاسلامي ، ومن عجبي انني لاحظت ان هؤلاء قد يكونون اكثر تدينا وايمانا من بعض الاخوان المسلمين ، وكان ان اقمت صلات طيبة بالمسئولين في إذاعة لندن وغيرهم من الاعلاميين من كافة التوجهات كان مظهرنا نحن أعضاء لجنة إدارة الازمة شبيها بالمقاتلين في معركة حربية واصلنا الليل بالنهار وتحركنا على كافة الأصعدة وقمنا بتحريك الرأي العام بقوة ناحية التعاطف مع قضية النقابيين المحبوسين والمحالين للقضاء العسكري ، وفي سبيل تحركاتي الإعلامية قمت بتجهيز ملف كامل لكل اخ من المحبوسين يحتوي على السيرة الذاتية له وبهذه الملفات وببعض بيانات نارية عقدنا مؤتمرات صحفية لدعم القضية إعلاميا ولكن رغم كل ما بذلناه مازال مختار محبوسا يرسف في اغلاله الكئيبة ومازال خالد بعيدا عن بيته واهله وضاعت على إبراهيم الرشيدي فرصته في العودة لعمله في الخليج الذي

كان في أجازة منه))

أقفز على الصفحات وأطوي بعضها وأتجاهل عشرات الأحداث والتفصيلات إذ لو تركت نفسي لها لأفردت لها كتابا كاملا وقد أفعل ذات يوم - فهي أحداث جديرة بالتسجيل والرصد والتحليل ، إلا أن آخر صفحات تلك الكراسة يستوقفني منها ويشد نظري تلك الفقرات

((ليس هناك أشد وطأة على النفس من ظلم لا تستطيع دفعه ، وليس هناك أشد على الإنسان من تنكر له وقت محنته ، وفي المحنة ظهرت معادن الناس وانكشفت معادن الأخوة ، في أحد اللقاءات همس بعض الإخوان في أذني أن أحدهم سجد لله شكرا حين تم القبض على مختار وخالد ، كان أحدهم هذا من أكثر الأشخاص حربا على إخوانه المحامين وفرحا حين تم فرض الحراسة على نقابتنا ، أما الشماتة فقد كانت بادية في عيون البعض تكاد تخرج لنا لسانها ، وقد تقابلت مع الكثير من الإخوة الذين أعلم حسن طويتهم ولكن أحزنني منهم عدم المبالاة بما حدث وكأن من تم القبض عليهم لم يكونوا أخوة لهم

اليوم كان قد انعقد اجتماع إخواني لمناقشة بعض ترتيبات المحكمة العسكرية وكيفية مواجهتها وقد شق علي كلمة خرجت من فم الأخ أسامة محمود حين قال لي : أنت مهتم بشكل مبالغ فيه بموضوع حبس مختار وخالد ، أنا ثروت يجب أن تعلم أن الحبس في السجون هو معسكر من معسكرات الإخوان ولا ينبغي أبدا أن نشغلك بهذا الشكل ، نظرت إلى أسامة نحيبة أمل ولكنني لم أرد عليه .

عندما أتيحت الفرصة لزيارة الأخوة في محبسهم في سجن طرة لم أتركها فقد صرت الزائر الوحيد الذي يقوم بالزيارة كل يوم بحيث لم أفوت إلا أيام الجمع والأجازات ، وكانت هذه الزيارات فرصة سانحة نتناقش فيها في كل شيء يتعلق بالقضية سواء من حيث القانون أو من حيث السياسة ، وعندما تم تحديد الجلسة الأولى التي ستبدأ فيها المحاكمة قمنا بتوزيع أنفسنا - كمحامين - على الأخوة المتهمين وكان من نصيبي بطبيعة الحال عبء المرافعة عن مختار وخالد وإبراهيم الرشيدي ، أما زجاتي عطية فقد اتفقنا معه على أن يترافع في الشق العام للقضية

في أول جلسة من جلسات المحكمة العسكرية التي انعقدت هناك في

صحراء الهيكسس كانت الاحراءات الخاصة بدخول المحامين والاهالى تسير على قدم وساق . وكانت هناك حالة ارتباك وتدافع فقد كان من المقرر أن تقدم بطاقات تحقيق الشخصيه على البوابه وتسطر إلى أن تأتى لنا حافلة تقلنا

للقوات المسلحه فنقلنا إلى الداخل . ونظرا لحاله الزحام الشديد فقد توقفت الحافلات ورفضت نقل هذه الأعداد الغفيرة إلا إذا سمح رئيس المحكمه بذلك وحين كنا ننتظر وصول موافقه رئيس المحكمه لحق بنا بعد الأستاذ محمد علوان وكان معه الدكتور توفيق الشاوى(١) فدهشت إليهما مرحب ومن اسف أن معظم الحاضرين لم يعرف الدكتور توفيق ولكنى عرفته فقد سبق وأن ذهبنا إليه مع مختار فى الأيام الخوالى ثم بعد خمس مختار ذهبت بنيه استشيره واستمعت منه الراى السديد فى كيفية مواجهة هذه القضية . ونظرا لأن الرجل كان قد اقترب من الثمانين فقد طلبت منه أن يجلس فى السياره التى حضر فيها برفقة الأستاذ علوان . وعندما طالت الاجراءات انصرف علوان والشاوى وقبل أن يودعانى طلب منى الدكتور الشاوى ان أذهب إليه فى بيته لأحضره بتفصيلات ما حدث فى الجلسات ووعدته بانى سأتصل به لأحدد معه موعدا اذهب اليه فيه))

وفى صفحة اخيرة من تلك الكراسة كانت هذه الفقرة

((يسكن الدكتور توفيق الشاوى فى فيلته الأنيقة المطلة على كورنيش النيل بالمعادى واذا جلست فى حجرة الصالون فستجد الحائط يزدان بعدة صور لاشخاص لهم تاريخهم . وكانت الصورة التى لفتت نظرى فى صورة علامة القانون المرحوم عبد الرزاق السنهورى كنت قد ذهبت للدكتور الشاوى وفقا لموعد اتفقنا عليه فى اتصال هاتفى وكنت قد استأذنته فى أن اصطحب معى فى هذا اللقاء الأخ أحمد ربيع وقد رحب الرجل أيما ترحيب

---

١ رحم الله الدكتور توفيق الشاوى وقد كان هذا الرجل احد اقرب الرجال الى الاخوان وكان مأمونا ناصرا وله العديد من المؤلفات القانونية والاسلامية وقد كتب فى فقه الشورى وفى الاقتصاد الاسلامى وهو احد الذين ساهموا فى انشاء منظمة المؤتمر الإسلامى وبنك فيصل الاسلامى وصاحب فكرة المدارس الإسلامية وقد انشئ عشرات من هذه المدارس الإسلامية تزوج الشاوى فى بداية حياته بابنة العلامة القانونى د عبدالرزاق السنهورى وظل حماه مساندا ومدافعا عن افكاره مدافعاً عما يعتقده.

وحين دخل الدكتور الشاوي علينا وجدني اتطلع لصورة السنهوري فقال لي بعد أن رحب بنا هل تعلم أن السنهوري رحمه الله حصل على دكتوراه في فقه الخلافة وكان قبلها قد حصل على دكتوراه في القيود التعاقدية على حرية العمل فقلت له أنا أعلم عن رسالته في فقه الخلافة وأظن أنه كتبها بعد إلغاء دولة الخلافة الإسلامية وكانت رسالة رائدة

وتدخل أحمد ربيع في الحوار وذكر أنه بهذه المثابة تكون هناك علاقة فكرية بين الشهيد حسن البنا والمرحوم السنهوري فهذا أنشأ تنظيما ليستعيد الخلافة وذاك حصل على دكتوراه في فقه الخلافة

وبعد أن شرحت للدكتور الشاوي تفصيلات قضية مختار التي أطلق عليها الإعلام قضية التقانيين وحكيت له عن مرافعة الأستاذ رجائي عطية والحادث الذي وقع له بعد مرافعته والشكوك التي دارت حول هذا الحادث وزيارتي له في المستشفى حيث التقيت هناك بشخصيات سياسية كبيرة وحكيت له أيضا عن تفصيلات مرافعتي عن مختار وخالد وإبراهيم الرشيدي التي استمرت أكثر من ثلاث ساعات وتجاوزت معه في الدفوع القانونية التي أبديتها أثناء المرافعة وطلبت البراءة بناء عليها كما حكى أحمد ربيع عن مرافعته التي أبداها عن بعض الإخوة ودفوعه القانونية ، وأثناء حديث أحمد تطرق إلى الخلاف الذي كان قد نشب بينه وبين المستشار الهضيبي وأسهب في أن المستشار الهضيبي أراد أن يتراجع عن الشورى التي أجريناها بخصوص عدم ترشيح أحمد سيف الإسلام حسن البنا وكانت حجته وقياسه في ذلك هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رفض قتل المنافقين وقال (حتى لا يقال إن محمدا يقتل أصحابه) فقال له أحمد (إن هذا قياسا فاسدا لأن القياس الصحيح هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) واسترسل أحمد شارحا عصبية المستشار الهضيبي تجاهه والآثار التي ترتبت عليها ، وهنا قال الدكتور توفيق الشاوي رشد أي تنظيم أو جماعة أو مجتمع إنما يُستمد من عدة قيم هي الحرية والشورى والعدالة والمساواة واقرأ إن أردت ما كتبه أخي الدكتور سليم العوا عن هذه القيم في كتابه القيم في النظام السياسي للدولة

الاسلامية . وليس عندي شك أن قياس المستشار هنا قياسا فاسدا وقياسنا هو الأصح وأنا أرى ان جماعة الإخوان تفقد بعض رشدها حين تضرب صفحا عن الشورى والمساواة وقد عرفت تفصيلات الخلاف الذي شجر بينهم وبين مجموعة حزب الوسط وقد افزعني رد فعل الجماعة غير المبرر جلس معي هنا ابو العلا ماضي ومعه مجموعة من إخوانه وقد وجدت فيهم نجابة وعمقا ومن الخطأ ان تتسرب هذه الكفاءات من الجماعة للأسف جماعة الإخوان التي أحببناها تفقد رشدها شيئا فشيئا

كانت هذه الكلمات غريبة على أذني فلأول مرة أسمع نقدا للجماعة من رجل له قيمته الفكرية والتاريخية في الجماعة وفي العمل الإسلامي . وحين قلت له إن الإخوان حركة ربانية وان الله سيحميها قال بهدوء الإسلام دين رباني ولكن الأفراد بشر يصيبون ويخطئون الجماعة قد تزول ويخبو أثرها إن هي خالفت السنن الكونية ليس معنى انها ترفع شعارات إسلامية أنها تكون قد حصلت على قداسة جماعة الإخوان ليست مقدسة

وإذ شعرت ان الدكتور ظهر عليه الإرهاق قمنا بتوديعه وانصرفنا وعندما كنا في السيارة قلت لأحمد هذا كلام لم نسمعه من أحد من الإخوان من قبل وهو يستأهل المناقشة فقال أحمد والله لقد صدق الرجل يبدو ان جماعة الإخوان تفقد رشدها شيئا فشيئا ويبدو أننا سنرى اياما حالكة المهم أن تنتهي المحاكمات العسكرية على خير هل ترى أنها ستنتهي على خير ؟ قلت له يبدو أننا ننتظر مفاجأة))

وحين أمسكت الكراسة لأضعها في الحزانة تذكرت المفاجآت التي توالت علينا حينها

الفصل الخامس

وَرَاء الأكمة

«هناك من لا يستطيع أن يكون إلا نفسه ، يمارس قناعاته حتي ولو خاصم من أجلها الدنيا ، وهناك من يستطيع أن يكون غير نفسه يمارس طموحاته حتي ولو صادق من أجلها الشيطان ، وكلاهما ممقوت ومرضي عنه في آن واحد ، فالأول ممقوت من الناس ومرضي عنه من الحق والثاني ممقوت من الحق ومرضي عنه من الناس».

إنتهت المرافعات في القضية العسكرية للنقابيين ، وقدم كل واحد من المحامين ما في جعبته من الأسانيد والدفوع القانونية إلا أن وجوه المتهمين التي رسم القلق تجاعيده عليها كانت تشي بأن الأحكام ستصدر في غير صالحهم ، ورغم الوعود الكثيرة التي قطعها المحامي الكبير رجائي عطية على نفسه مؤكدا أن مختار نوح ومعه خالد بدوي وثلة أخرى من المتهمين سيحصلون بالتأكيد على البراءة وأن باقي الأحكام ستكون مخففة لا ضير منها إلا أن أحدا لم يصدقه ، فقد أيقنوا جميعا أن الأستاذ رجائي فشل في الوصول إلى قرار سياسي بهذا الشأن وأنه إنما يمد حبل الرجاء طمعا في استمرار مؤازرة الإخوان له في المعركة الانتخابية كانت التوقعات التي خرجت من داخل السجن من قيادات الإخوان المحبوسين تؤكد أن الأحكام ستتراوح بين ثلاث وخمس سنوات وأن هناك من سيحصل على البراءة وقد أجمعوا على أن أصحاب البراءة هم إبراهيم الرشيدي ومحمد سعد عليوة ومن الممكن أن يضاف إليهم أحمد محمود حسن وأحمد أبو الأنوار ، كانت تلك التوقعات سببها أن هؤلاء ليست لهم أهمية تنظيمية ولم يكن لهم تأثير حركي وبذلك لن يكون هناك أي أثر إذا ما حصلوا على البراءة فضلا عن أن هذه القضايا لابد أن يحصل بعض المتهمين فيها على البراءة ولم يكن هناك غير هؤلاء ليتم إطلاق سراحهم

وفي محاولة مني لاستقصاء ما يمكن أن يتساقط من أخبار ذهبت ومعي أحمد ربيع وإبراهيم بكري إلى مكتب الأستاذ رجائي عطية

نستمطر منه الأخبار ونستشرف وجهه لعلنا نعرف من خلال قراءة الوجوه ما يخفي الصدور إلا أن الاحباط كان بادئا على قسمات وجه المحامي الكبير وبراعته المعهودة أخفى أحباطه ببضع كلمات مبتسمات

مدتسرات ووضع على وجهه سيارة الاطمئنان التي أظهرت أكثر مما أخفت ، وعندما خرجنا من اللقاء استقبلتنا عاصفة ترابية من عواصف خريف القاهرة الذي كان لا يزال يافعا يبسط سيطرته ونفوذه على السماء والأرض فيحيلهما الى كتلة رمادية خرداء ، ويبدو أن العاصفة لم تهب من الشمال أو الشرق أو الجنوب إنما هبت من أفئدتنا وخرجت من مشاعرنا الثائرة المنتهية بعد أن وقع في روعنا أن الريح ستأتي بما لا يسر السفن وأن وراء الأكمة ما وراءها وتحددت جلسة النطق بالحكم وهناك في منطقة الهايكستب حيث الصحراء الفاحلة وحيث مقر المحاكمة تقابلت منذ الصباح الباكر مع بعض الأهالي الذين تكبدوا مشقة الطريق خلال أشهر عديدة وحان الوقت الذي تصوروا فيه أنهم سيقطفون ثمار مشقتهم . لا ريب أن الألم فت كبدي وشق قلبي إذ وجدت بعض زوجات المتهمين يتحدثن عن أن بناتهن الصغار قاموا بتعليق الزينة في بيوتهن ونثر الورود انتظارا لخروج بعض من تسربت الأخبار بحتمية حصوله على البراءة . وأيقنت أن الانسان يظل دائما متعلقا بحبل الأمل مشدودا إلى واحة الرجاء لا يحيد عنها قيد أنملة حتى أنه ليصنع من أمله قصرا مشيدا شامخا فاذا طلعت الحقيقة إذا بالأمل سراب وإذا بالرجاء حسرة وإذا بالقصر تذروه رياح الواقع ولكن الواحد منا لا يني يمسك حبل الأمل من جديد ويتعلق بأهداب الرجاء ويسكن في قصر التمني إذ لولا الأمل لسكن الإنسان حتما في باطن الأرض وهجر سطحها

خرج عم عبد كاتب الجلسة مصطنعا كسوف البال ليخبرني أن محكمة أرجأت النطق بالحكم لجلسة أخرى هي يوم التاسع عشر من نوفمبر وعندما أخبرت الأهالي والمحامين الموجودين بالتاريخ حتى انصرف الجميع وهم يمسكون بيد خيط الترقب والقلق إلا أنهم في ذات الوقت يقبضون باليد الأخرى على حبل الرجاء ، وسمعت الزوجات وهن يتحدثن عن إصرارهن على ترك الزينة والورود في أماكنها في بيوتهن إلى أن يحين الموعد الجديد للحكم

***

كان عام ٢٠٠٠ الميلادي قد استعد لمغادرة مداره حيث سيذهب إلى غير رجعة ولم يكن قد تبقى منه الا عشرة أيام من نوفمبر وديسمبر بأكمله ، أما العام الهجري ١٤٢١ فقد كان يسعى حثيثا للوصول إلى رمضان ولم يكن قد تركه بعد ، حينذاك أصدرت المحكمة العسكرية أحكامها التي كانت صدمة

لكثيرين رغم أنها كانت متوقعة

امتنعت في هذا اليوم عن الذهاب للمحكمة العسكرية فقد كنت موقنا بصدور أحكام عقابية وذهبت إلى محكمة مصر الجديدة وقبيل الظهر هاتفني عبد المنعم عبد المقصود ليخبرني أن الأحكام صدرت في معظمها بالإدانة وأن ثلاث سنوات من الحبس شداد غلاظ كانت من نصيب مختار نوح وخالد بدوي ورافقهم في الثلاث سنوات كل من الدكتور محمد بشر ومدحت الحداد وعبد الله زين العابدين وهشام الصولي وسيد هيكل وأحمد شوقي عمشة وأحمد عبد الرحيم وعاطف السمري وإبراهيم السيد حسين وعبده البردويل أما إبراهيم الرشيدي ومعه أربعة هم أحمد محمود حسن وأحمد أبو الأنوار ومحمد سعد عليوة وعلي عبد الرحيم فقد نالوا البراءة . وأن هناك من طالته خمس سنوات هم الدكتور محمد بديع وسعد زغلول العشماوي وأحمد الحلواني ، وسرعان ما توالت على هاتفي المحادثات التليفونية من إخوان مدينة نصر أو غيرها من المناطق ومن أهالي المتهمين الذين حالت ظروفهم بينهم وبين الذهاب للمحكمة لمعرفة تفصيلات الأحكام وكان ما يثير العجب أن الكل كان يستقبل الحكم وهو غير مصدق كأنما صدقت الأفئدة أن الكل سيخرج من هذه المحاكمة بلا إدانة ، وكان ظنهم أنه إذا حدث وكانت هناك أحكام بالإدانة فإنها لن تتجاوز العام بما يعني خروج المتهمين من محبسهم لأنهم قضوا بالفعل في السجن عاما وازدادوا شهرا

استقبلت الحكم بفتور ظاهري إلا أنني عقدت العزم على تغيير الخريطة الانتخابية لنقابة المحامين

مباحث أمن الدعوة

استقبلنا بدايات عام ٢٠٠١ وكانت زيارتي للمحبوسين من الإخوان قد تباعدت وأصبحت تقريبا مرة أو مرتين في الشهر ، فما يتاح للمحبوس احتياطيا قد لا يتاح للصادر ضده الحكم العقابي وإذا كان من حق المحامي أن يزور موكله أثناء المحاكمة بشكل دوري مستمر لإطلاعه على خطة الدفاع ومناقشته في تفصيلاتها إلا أن هذا الحق يتبخر فور صدور الحكم وتصبح زيارة المحامي لموكله خاضعة للوائح تكبح جماح هذه الزيارات ، فبدت الأحوال داخل السجن - مع قلة الزيارات التي كانت تبعث قدرا من الحركة والحيوية - وكان قاطنيها هم فريق من العابدين داخل صومعة هادئة ساكنة

بوضعت علاقاتهم الدنيوية بمن هم خارج الصومعة

اما خارج السجن فقد بدت الصورة مختلفة تمام الاختلاف فقد كان الكل يجرى على قدم وساق فى سباق انتخابات نقابة المحامين وكأننا فى ماراثون لا ينتهى أو فى مضمار جبل يقطع انفاس المتسابقين . لم يكن المحامون وحدهم منشغلين بالانتخابات ولكن مصر كلها كانت تترقب وتنتظر المولود الجديد حيث كان فى ظن البعض أن المخاض سيسفر عن مجلس قومى يبتعد فيه الإخوان عن سدة المجلس إلا ان البعض الآخر كان على يقين من ان قطار الإخوان مازال يسير بقوة الدفع السابقة وانه سينجح فى الانتخابات لا محالة . إلا ان التكهنات كلها تقريبا بخصوص منصب النقيب كانت تصب فى مصلحة رجائى عطية . فها هو ذا المحامى الكبير يحظى بتأييد الإخوان المطلق رغم صدور أحكام بالادانة فى قضية النقابيين . كما انه فى ذات الوقت يحظى بتأييد الحكومة التى دفعته إلى هذه الانتخابات او بالاحرى وافقته على فكرة خوضها . وفوق هذا وذاك فانه حصد تأييدا واسعا من العديد من المحامين من شتى الفصائل والتوجهات خلال جولاته الانتخابية . وكاد قمره أن يكتمل يوم الانتخابات . وفى الناحية الاخرى كان سامح عاشور يحاول لاهثا أن يلحق برجائى عطية ويقترب من موكبه . الا ان المعادلة بدت شديدة الصعوبة رغم ان هناك دائرة من دوائر الحكم راهنت على الفتى عاشور ورأت انه من الممكن ان يقوم بلجم حصان الإخوان فى النقابة بسبب العداء التاريخى بينهما فى حين ان رجائى لا يحمل هذا التاريخ من العداء فضلا عن انه كان محاميهم الاثير فى قضية النقابيين وهناك تخوف ان نجح ان يضطر الى سداد فاتورة نجاحه للإخوان مما يمكنهم من أروقة النقابة ويساعدهم على السيطرة على قرارها

فى خضم تلك الصورة المشحونة بالمنافسة الضارية المفعمة بالمشاعر المتناقضة حدثنى تليفونيا عصام سلطان المحامى الذى كان فى يوم من الأيام احد قيادات الاخوان ثم شارك فى ثورة فكرية وحركية على قيادات الاخوان ومنهجهم الحركى وأسهم مساهمة مؤثرة فى توطيد دعائم حزب الوسط فى المجتمع السياسى ولذلك نال نقمة الإخوان إذ يكفى انه يمثل عنصرا انشقاقيا ومشروعا فكريا منافسا لحركة الاخوان ومزاحما لها فى وسطيتها .

استفهم مني عصام في المحادثة التليفونية عن إمكانية دعم سامح عاشور في انتخابات نقابة المحامين ضد رجائي عطية بحسب أن رجائي ينكب عن وعده الذي قطعه على نفسه من قبل ، وبلا تردد وافقت على هذا الطلب وبعد دقائق معدودات عاود سلطان الاتصال حيث كان قد ضرب موعدا مع سامح عاشور في نفس اليوم في حروبي عدلي على أن يكون اللقاء في تمام الساعة العاشرة ليلا ، كانت الميزة التي تميز حروبي عدلي أنه بدءاً من الساعة العاشرة ليلا يكون قليل الرواد خاصة وأننا في فصل الشتاء مما يعطي لهذا اللقاء قدرا من السرية والخصوصية

وفي الموعد المضروب سبقنا عصام سلطان إلى المكان أما أنا فقد ذهبت بعده بهنيهة وكان في رفقتي عاطف عواد الذي كان مازال ملتحما بالاخوان لم تنفصم عراه عنهم بعد رغم وسطيته ، وخالد شقير الذي كان مازال في قلب الاخوان عضوا عاملا ومسئولا عن شُعبة من شُعب مصر الجديدة ، أما سامح عاشور فقد حضر بعدنا مباشرة ومعه المحامي الناصري البورسعيدي ياسر حسن والذي كان مرشحا للعضوية في هذه الانتخابات ، والحق أن ياسر حسن كان هو كما علمت فيما بعد فاتحة الاتفاق إذ كان زميلا لعصام سلطان في الجامعة وعضوا معه في اتحاد الطلاب ، وقد سمحت واصر الصداقة فيما بينهما أن يتحدثا سويا بشأن الانتخابات المرتقبة وتطور النقاش فيما بينهما حتى قام ياسر حسن بالتنسيق بين عصام سلطان وسامح عاشور وكان من ناتج هذا التنسيق هذا اللقاء الذي ترتب عليه الانقلاب الكبير ، ذلك الانقلاب الذي دخل سامح بمقتضاه إلى التاريخ بعد أن كاد يخرج من صفحات الواقع النقابي والسياسي

استمرت الجلسة ساعة من الزمن وقد كنت حريصا غاية الحرص بعد اللقاء على تدوين احداثه وتفصيلاته ودقائقه في مفكرتي الخاصة حتى لا تقع اي شاردة من شوارده من ذاكرتي المثقلة بالأحداث أو من ذاكرة الحاضرين ، وفي اللقاء عرض سامح عاشور علينا عروضا كثيرة لكي نوافق على دعمه ، وكان من عروضه أن يجعلني بعد نجاحه عضوا بالأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب ويجعل عاطف عواد المسئول الفعلي عن لجنة الشباب بالنقابة ، وعندما انهالت عروض سامح عاشور بدأت ذلك الفريق الذي وجد امامه فجأة طوق نجاة بعد ان ايقن بالهلاك قلت له بوضوح دعك يا عزيزي من

تلك الهدايا فما انت يابا نويل وما نحن زمره من الأطفال كل ما في الأمر أننا قد نوافق على دعمك دون مساومة أو مقايضة ولكننا نحتاج بعض الإيضاحات سنطرحها عليك وسنجيب عليها فإن راقتنا إيضاحاتك سندعمك وإلا فلكل منا طريقه . وكان من البديهي ان نسألني عاشور عن كنه تلك الايضاحات ولكنني ارجأته إلى جلسة اخرى حددت له موعدها ومكانها .

وكان اللقاء الثاني بعد ثلاث ليال في مكتب خالد شقير بمصر الجديدة وقد غاب عن هذا اللقاء صديق مقرب مني ومقرب من الإخوان وهو عبد السلام دياب دون سبب - رغم انه كان أحد الذين قاموا بالتنسيق بيني وبين سامح عاشور - إلا أنه ضم بعض شخصيات من الإخوان الذين كانوا مع مختار نوح في البدايات وكانوا من أكثر الشخصيات تأثيرا في استمرار مسيرة الإخوان بنقابة المحامين وهم أحمد ربيع غزالي ، ومصطفى زهران صاحب الصيت الذائع في العمل النقابي وأحد أشهر الشخصيات النقابية الاخوانية ، فضلا عن خالد شقير صاحب المكتب وعاطف عواد وعصام سلطان الاخواني السابق وأحد مؤسسي حزب الوسط ، ومن الجيل الذي جاء عقب هؤلاء ضم اللقاء محمد عبد الفتاح المحامي الذي ينتمي الى اخوان منطقة شرابية وكان من القلائل في الإخوان ممن يحفظون القرآن الكريم وكانت له جلسات يقوم فيها بتدريس أحكام تلاوة القرآن للإخوان وكان فوق هذا خطيبا لمساجد عديدة يسيطر عليها الإخوان الأمر الذي اعطى له نفوذا نفسيا ودينيا على قطاعات عديدة من المحامين الإخوان . وكان في اللقاء ايضا أحمد حسن جمعة المحامي الإخواني والذي ينتمي إلى منطقة مصر الجديدة وهو شخصية حركية وفاعلة ومن الشخصيات صاحبة التأثير في اوساط شباب الإخوان إلا انه ترك الإخوان بعد هذا اللقاء بعامين إلى غير رجعة وجلس مستمعا في اللقاء أحد المحامين العاملين في مكتب خالد شقير اسمه عليش وقد كان ينتمي بشكل هامشي للإخوان فقد كانت رتبته الإخوانية هي مؤيد . وضم اللقاء ايضا ثلاثة من شباب الاخوان من المحامين الذين كانوا يحملون في نفوسهم وقلوبهم اعتراضات جمة على المنهج السياسي لجماعة الإخوان وموقفهم السلبي من القضية العسكرية التي ذهب نوح وآخرون ضحيتها . وكانت كلماتهم التي صدحوا بها في وجه بعض قيادات الاخوان وقتها هي هل ذهب مختار نوح ومن معه ضحية المحكمة العسكرية

أم انهم دهنوا جميعهم ضحيه الاخوان ؟" ولأن لا شيء يبقى على حاله فقد عاد هؤلاء الشباب بعد ذلك إلى حضن الجماعة بعد أن تم تشديد النكير عليهم وتضييق الخناق على حركتهم وكل نفس لها وسعها

ظل اللقاء مع سامح عاشور منعقدا لثلاث ساعات وكانت بدايته بضع كلمات قلتها عن سبب اللقاء وأهدافه واعتراضات البعض منا على شخص سامح عاشور وتاريخه وريبتنا من وعوده التي يوزعها علينا وعلى آخرين وشكوكنا حول قدراته النقابية . ثم تركت الحديث للحاضرين فانهال عليه مصطفى زهران واحمد ربيع بوابل من الاتهامات منها أنه كان في تاريخه كله معاديا للإخوان وحجر عثرة في طريقها وأبدى ربيع وزهران خشيتهما من أن يدير عاشور النقابه بعقلية ديكتاتور ويد مستبد . كما قال أحمد ربيع . ودافع عاشور عن نفسه ورفض اتهامه بمعاداة الإخوان بصورة مطلقة وإن لم ينكر اختلافه مع فريق منهم إلا انه أبدى استعداده للتعاون المثمر مع أي فصيل مستنير يتبنى خطابا عاقلا ويقبل التعاون مع الآخر وأنه من أجل هذا يمد يده لفريق نوح الذي ذكر انه اعقل الاسلاميين قاطبة . اما عن قدراته النقابيه فقال وهو يتحسس الكلمات يجب عليكم أن تمنحوني الفرصة لتحكموا على أدائي اولا . ثم دخل عاشور سريعا إلى منطقة الوعود وكاد أن يقسم انه إن نجح نقيبا فسيعطي المساحه الأكبر في لجنة الشريعة الإسلامية لمصطفى زهران واحمد ربيع وسيوافقهما على كل المشروعات النقابية التي سيقدمونها سواء كانت معسكرات أو رحلات أو ندوات . وحاول في عباراته ان يكون لينا ناعما كألين ما يكون البيوته إلا أن زهران وأحمد ربيع ظلا على هجومهما الضاري رغم كثرة وعود عاشور وتنوعها . والحق أنها كانت مواجهة حادة أخرج فيها كل واحد من فريق الاخوان ما في قلبه إلا أن سامح راوغ وناور ابتغاء كسب تأييد هذا الفريق . وكان عصام سلطان وعاطف عواد يتدخلان في كثير من الأحايين لترطيب الأجواء المشتعله . وانتهى الجزء الأول من اللقاء على خير حيث بدا فريقنا - وفقا لاتفاق مسبق بيننا - يطرح عبارات مطمئنه لسامح . وهنا استطاع الرجل أن يلتقط أنفاسه بهدوء وكان الجزء الثاني من اللقاء يدور حول كيفية دعم عاشور، وليس من شك أن الصعوبات الجمه التي كانت تواجه المساجين من الاخوان في محبسهم دفعتني إلى استثمار رغبة عاشور في النجاح كنقيب في تذليل تلك الصعوبات

عن طريق علاقات عاشور المتعددة فكان أن تحدثت عن ضرورة أن يقوم عاشور بدعم مختار نوح في سجنه بكافة الوسائل وطلبت منه أن يستخدم صلته بالأمن كي يتم توفير الراحة لنوح والذين معه في السجن ، ثم أهمية أن يتم إظهار هذا الدعم بعد ذلك في كافة الأجهزة الإعلامية ونشرها على نطاق واسع في أوساط المحامين ، وكان مما قلته وقتها إن هذا التصرف من عاشور سيساعدنا جميعا على اجتلاب الكثير من الأصوات الإخوانية وتوجيهها بحيث يا أستاذ سامح فضلا عن أنه سيساعدنا على جر قاطرة المتعاطفين مع الإخوان والمتحمسين لنوح وتاريخه النقابي إلى اتجاهك وبغير هذا لن نستطيع أن نحرك كتلة أصوات الإخوان الجليدية ولو بمقدار خردلة ، كما أننا لن نستطيع اجتذاب أصوات المتعاطفين التي من شأنها وحدها أن تغير نتيجة الانتخابات حتما إلا بهذه الوسيلة

لمعت عين عاشور من الفرحة ووعد بأن يقدم لنوح والآخرين في محبسهم ما يتحدث به الركبان ، وانتهى اللقاء بعد أن اتفقنا على التواصل عبر الهاتف وأن ما لا يجب الإفصاح عنه عن طريق الهاتف سيكون توصيله عن طريق عبد السلام دياب الغائب عن اللقاء بغير عذر ودون سبب ظاهري رغم أنني علمت وقت اللقاء أن دياب كان مع عاشور في لقاء ما قبل حضوره إلينا ثم اعتذر له عن الحضور معه !! .

ورغم أن اللقاء انتهى وفقا لما نصبو إليه إلا أن قلبي لم يكن مستريحا ، فقد أحسست أن هناك شيئا ما يدور في الخفاء لا أعلمه ولا أدري ما هو ، لا شك أن غياب عبد السلام دياب عن اللقاء أصابني بالدهشة ذلك أنه كان أكثر المتحمسين للاتفاق مع عاشور وقد كان غيابه مثيرا للحنق والغيظ حتى لعاشور نفسه ، كما أنه لم يكن في الترتيب أن يحضر معنا الأخ عليش المحامي الإخواني الذي يعمل بمكتب شفير وكان أثناء جلوسه يتحسس بين القنبة والقنبة جنوب الجاكيت الذي يرتديه وكأنه يضع فيه شيئا ثمينا ورغم أنني طردت الهواجس التي انتابتني إلا أن هواجسي لم تتوقع أبدا أن يكون اللقاء بكامله مسجلا بالصوت لم يدر بخلدي أن عليش كان جاسوسا إخوانيا رصد اللقاء وسجله ثم ذهب بالتسجيل إلى محمد طوسون ، وكان هناك في الإخوان من صنع جهازا أمنيا يضارع مباحث أمن الدولة هو مباحث أمن الدعوة

جستابو الإخوان

وقر في قلبي أن أحقق خبر تأييد مجموعتنا لعاشور عن مختار نوح ومجموعة الإخوة المحبوسين معه . فمن ناحية خشيت أن يقوم نوح بالتأثير على من هم معي ليلزمهم أدبيا بعكس اتجاهي . ومن ناحية أخرى خشيت معرفة هذا التأييد على مختار نوح فيسحب منه رصيده المتبقي داخل الإخوان . وبقلت لأحمد ربيع ما وقر في قلبي فصدقني على رأيي واتفقنا معاً على كتم خبر هذا المشروع عن جميع الإخوة المسجونين ولكن ما تم كتمه عن من هم في داخل السجون سرعان ما تسرب إلى من هم في عيادات التعذيب

فوجئت عصر اليوم التالي للقاء سامح نجاد الإخوة من المحامين من منطقة شرق القاهرة بحضور إليّ في مكتبي بطنطا حيثما وكان انفاسه تكاد تتقطع وأخذ يلومني ويعاتبني على ذلك الذي وصل إليهم فوقع عليهم - كما قال - وقع الصاعقة . واستطرد حزينا بأن هناك من قص أثر لقدمي بسامح وبنصت عليه وسجل - عن طريق جهاز التسجيل - تفصيلات كل شاردة وواردة فيه وحملها حملا إلى أذن محمد طوسون الذي يرسم توصيلها إلى قيادات الإخوان إلا إذا ذهبت إليه مقدمات فروض الولاء والطاعة . وكان مما قاله لي ما حدث معي بدخن في بيت حياة القرار الإخواني وأن من قام بالتجسس قام بعمل مجيد للدفاع عن الدعوة ضد أعداء الدعوة إذ أن عملنا يصنف دعويا بأنه إعلان بالعداء لا يقبل إلا الإقرار به والتظهر من جدياته بالتوبه عند القيادات الإخوانية . وأضاف منهيا الحوار من جانبه أن ذلك الجاسوس قصاص الأثر - الذي رفض ذكر اسمه لي - فتح هاتفه المحمول على خط ساخن مع طوسون ليسمع ذلك الأخير في بث مباشر كل جوانب الحوار وأن طوسون قاله ما سمعه وأنه من قبل هذا الاتفاق عقد العزم على أمور يصعب توقع نتائجها لأن فريقنا - كما قال الأخ - بما فعله قد شق عصا الطاعة . ورغم أن ما قاله لي ذلك الأخ بعث في نفسي مساحة رمادية من الحزن المخلف بالغضب من أولئك الذين يستحلون الحرام ويتجسسون ويرتكبون المعاصي وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا بل وفي ظنهم أنهم يتقربون لله بمعصيتهم هذه التي يرونها كسبا لهم الطاعات لأنها تحافظ على كيان التنظيم !! الذي أصبح عندهم مساويا بالإسلام وأكاد أسمعهم وهم يرددون لبل نهار " أن المحافظة على التنظيم محافظة الاسلام لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب

لم أرد على الأخ الذي كان حريصا في ظاهره على أن يعود بي إلى حظيرة الطاعة، ولم أعقب إلا بقولي (جزاك الله خيرا) ثم ختمت بإيماءة خفيفة وابتسامة خانقة انطلقت من حشاشات مشاعري التي تنبئني بأن ما يحدث من الإخوان هو علامة فارقة في تاريخهم فقد انقلبوا من جماعة دعوية إلى مؤسسة أمنية تصارع الحسبانو وإن هذا الانقلاب انطلق من قلب الجماعة فقلبها، وما سُمي القلب قلبا إلا لأنه يتقلب

وعلى مدار الأيام السابقة على الانتخابات في مرحلتها الأولى وجدت أمرا عجبا فقد أخذ عدد من الإخوان المحامين ممن لم تكن لهم سابق علاقة قوية بـ محمد طوسون والذين معه يترددون على مكتبي بشكل مستمر يطلبون مني النصح ويسألونني عن أشياء متعلقة بالانتخابات ويجادلونني في حق الإخوان في خوض الانتخابات مثلهم مثل أي فصيل سياسي، وكانت المناقشات تدور بيننا الساعات وأذكر أن هذه التجربة أهدت لي بعض الأفكار التي لم تكن قد تبلورت في صورتها النهائية بعد ومن هذه الأفكار قلت لأحد الإخوة في زيارة من تلكم الزيارات حيث جاء يسألني النصيحة لا يجوز لجماعة دعوية مثل جماعة الإخوان أن تقدم العمل السياسي التنافسي على العمل الدعوي والعمل الإصلاحي إذ أن العمل السياسي التنافسي يتناقض مع تركيبة الجماعة الدعوية ويتضاد معها وقد ظهر في العقود الأخيرة أن الجماعة تقدم العمل السياسي التنافسي على العمل الدعوي وتهتم به أيما اهتمام

فقال وهو يتصنع عدم الفهم كيف ذلك أنا أرى أننا نقدم الدعوة على أي شيء آخر

قاطعته قائلا صبرا يا أخي دلائل ما أقول كثيرة ما الاهتمام بالعمل السياسي التنافسي على حساب العمل الدعوي، فقد أصبح الهم الأكبر الذي يؤرق الفاهمين داخل الجماعة

قال الأخ ولكن حسن البنا مارس السياسة

قلت بأناة إذا كان حسن البنا مارس العمل السياسي وخاض الانتخابات البرلمانية مرتين في الأربعينيات من القرن العشرين، إلا أنه أدرك مغبة تعريض الإخوان للعمل السياسي، وحاول قدر جهده أن يعيد الجماعة إلى حظيرة الدعوة الخالصة ولكن الجماعة لم تترك من وقتها فكرة مزاولة العمل

السياسي فاصطدموا عن طريق مرشدهم الثاني حسن الهضيبي برجال الثورة واعترفت الكثير من كتابات الإخوان بخطأ الهضيبي الأب في إدارة الأزمة مع رجال الثورة، ثم إذ بحركة الإخوان في عهدها الجديد وخاصة من بداية عهد حامد أبو النصر تتحول إلى حزب سياسي تنافسي يحمل راية المواجهة الانتخابية ويعادي كل الفصائل والأحزاب السياسية القائمة

قال الأخ وكأنه يناقش ولكن كيف نترك الانتخابات ؟ المواجهة الانتخابية في حد ذاتها دعوة .

قلت محاولا إنهاء الحوار فكرة المواجهة الانتخابية وإن كانت تصلح للأحزاب السياسية، إلا أن الإخوان كحركة دعوة إصلاحية رفضت أن تتحول إلى حزب في الوقت الذي صممت على ممارسات الحزب للسياسة فوقعت في تناقض واضح وهو التصميم على الثبات على شكل الجماعة ورفض شكل الحزب، إلا أنها سعت إلى الممارسة الحزبية، بما سيتتبعه هذا الأمر من خوض الانتخابات في جميع المجالات ومزاحمة الحكومات القائمة والأحزاب المختلفة مما يؤدي إلى تألب هذه الحكومات والأحزاب على الإخوان، والإشكالية الكبرى التي تتفرع من هذا الخلط هو أننا بحسباننا أصحاب دعوة وأصحاب حركة إصلاحية نسعى دائما إلى دعوة الناس للمنهج الوسطي للإسلام وإلى كسب ود الجماهير وإلى مخاطبة النخب السياسية والفكرية بما يقربهم من فكرة شمولية الإسلام ثم إذ بنا في الوقت نفسه نسعى إلى المنافسة الانتخابية معهم بما تخلقه من عداوات وهو ما يترتب عليه استنفار هذه القوى ضد الدعوة والحركة الإصلاحية . أنا لا أرفض خوض الإخوان الانتخابات بصفة مطلقة ولكن لماذا خوضها بأغلبية ؟ وما الذي سنستفيده من تلك الأغلبية ؟ ألا يكفي أن نخوض انتخابات نقابة المحامين مثلا أو غيرها من الهيئات بعدد محدود لا يزيد على أربعة أفراد فنحقق بذلك معادلة الوجود بالمجلس وكسب ود الفئات السياسية أو النقابية المتنافسة ونبتعد نحن بذلك عن منافسة من ندعوهم ؟

وهنا أبدى الأخ الزائر سخطه ورفضه التام لفكرة خوض الإخوان للانتخابات . فقلت له معلقا على سخطه وحنقه

من يريد خوض الانتخابات من الإخوان بأغلبية كأغلبية الإخوان حاليا في نقابة المحامين إما أنه جاهل لا يعلم أو أنه أحمق لا يفهم وفي كلتا الحالتين

فيه لا يدرك مغبة عمله على الدعوة

أما أن فقد كنت سليم الطوية خالي البال عندما كنت أبدي هذه الأقوال ، وكيف لا أكونهما وأنا اتعامل مع من يرفعون شعار (الرسول قدوتنا) ؟ كنت لا أدرك وقتها مغبة افكاري التي اطرحها للإخوان الذين كانوا يسألونني النصيحة فقد كانت هذه اللقاءات يتم تسجيلها وحملها لمحمد طوسون وكان طوسون بدوره يقدمها للمرشد ليوهمه انني أقود حركة تحريضية ضد قائمة الإخوان في الانتخابات .

هبوب المشاكل

بدأت البشائر عندما اتصل بي الأستاذ فلاح سرور أحد القيادات الكبيرة للإخوان في منطقة مدينة نصر وطلب علي غير عادته مقابلتي لأمر عاجل وبشكل فوري لأمر شديد الأهمية وبعد أن أغلقت الهاتف حدثتني نفسي أن ريح الجنوب ان لها ان تهب وتبدر بعواصفها العاتية وحدث ما توقعته فقد اخبرني الأستاذ فلاح أن هناك شكوى مقدمة ضدي للمرشد الحاج مصطفى مشهور من محمد طوسون وأن الشكوى مؤيدة بالأدلة والمستندات والتسجيلات الصوتية واستطرد ان موضوع الشكوى هو تحريضي ضد قائمة الاخوان التي ارتضتها القيادات بالاضافة إلى اتفاقي مع سامح عاشور رغم ان تاريخ عاشور معاد للإخوان وان هذا الاتفاق ينقض اتفاق الإخوان مع رجائي عطيه وان السمع والطاعة مقدمتان على ما سواهما لأن قيمة الفرد تكمن ـ وفقا لما قال ـ في قدرته على السمع وطاعة القيادات

قلت للأستاذ فلاح بعبارات مقتضبة مبرراتي التي دفعتني للاتفاق مع سامح عاشور وأكدت ان مسألة الاختيار يجب ان تخضع للقواعد الشرعية وانني إذا رأيت ان اختيارات المحامين لابد من نقضها فليس هناك من قوة تحول بيني وبين هذا ، واكدت له أنني لم احرض أحدا ضد قائمة الإخوان ولكنني فقط كنت اتحدث عن مبدأ خوض الانتخابات نفسه وجدواه وهذا من حقي ، فلا سلطان لأحد علي ما في قلبي ، ورغم كلماتي الواضحة إلا أن الأستاذ فلاح اخذ يلح عليّ ـ بطيبة الأخ الذي يريد أن يبعدني عن المتاعب ـ في ترك الأمر كله بل ترك العمل مع المحامين والتفرغ للمنطقة لأن العمل مع المحامين في تقديره يجعل في القلب قسوة وقال إن الإخوان في حقيقة الأمر لا يعتبرون المحامين من الإخوة مهما كانت درجة الأخ منهم لأن المحاماة

ورث صاحبها جدلا عبر محطب ورعه في الانتصار للرأى . وانه لذلك يحتاج جهودى الدعوية في منطقة مدينه نصر لترتقى بالعمل التنظيمى فيها وأنه سيسعى بكل قوته هو وإخوانه إلى وأد الشكوى في مهدها شرط ان اتفرغ له في المنطقة .

لم تترك كلمات الأستاذ صلاح أثرا في نفسي ولو بمقدار حصاة وتركته لأذهب إلى لقاء بعض المحامين من المتعاطفين مع الإخوان وبعض المنتسبين لحزد الجماعة من إحدى المحافظات وكانت هذه اللقاءات تتم بشكل يومي مع قطاعات متنوعة من المحامين لخلق مساحة رفض في نفوسهم تجاه تأييد الأستاذ رجائي عطية ولتهيئة المناخ لسامح عاشور وكان أنصار موقفي يتزايدون يوما بعد يوم خاصة وأن صحيفة صوت الأمة نشرت قبل الانتخابات بأيام خبر قيام عاشور بحل المشاكل التي كانت تواجه محتار نوح والإخوان المسجونين معه في سجن مزرعة طرة والتي لم يستطع الأستاذ رجائي عطية التصدي لها أو حلها هو أو غيره

وللمرة الثانية اتت ريح الجنوب - بعد تزايد الأنصار - بما لم يرد على بال وبما لم يحدث في تاريخ جماعة الإخوان من قبل

الفصل السادس

إعلان الأحكام العرفية الإخوانية

«شتان بين من يطلب الحق فيخطئه وبين من يطلب الباطل فيصيبه .. الأول أخطأ والثاني أصاب ، ولكن خطأ الأول صواب لأنه اجتهد للحق وصواب الثاني خطأ لأنه انتصر للباطل».

تمت امتحانات المحامين في مرحلتها الأولى وتأجلت أسبوعا لعدم اكتمال الجمعية العمومية حيث قرر المستشار المشرف على الامتحانات تأجيلها ليوم ٢٠٠١/٢/٢٤ . وفي صباح اليوم التالي وحدث من يطرق باب بيتي كان الطارق هو المهندس أحمد شوشة الذي كان في وقت سابق عضوا معي في أسرتي الإخوانية حينما كان مسئول منطقة مدينة نصر ثم أصبح فيما بعد مسئول قسم التربيه داخل التنظيم عن محافظة القاهرة أثارت زيارة أحمد شوشة لي دون سابق موعد دهشتي إذ كانت صلتي به قد تباعدت منذ فترة ليست بالقريبة خاصة بعد أن شغلته مسئولياته التنظيمية التي تدرج إليها وصعد سلالمها درجة درجة ولم يعد هناك بالتالي متسع من الوقت للتواصل المباشر بيننا .

كان أحمد شوشة قيادة إخوانية بارعة في العمل التنظيمي ومتطلباته وبيروقراطيته وقد ارتبط بالمهندس حيرت الشاطر ارتباطا وثيقا منذ كان طالبا في كلية الهندسة جامعة المنصورة ، وقبلها كان حيرت الشاطر معتمدا لهذه الكلية وكان قد بدأ يخطو إلى الوجهة الإسلامية ، وبسبب براعة الشاطر ودكائه وثقافته فقد استطاع اجتذاب قطاع عريض من الطلبة إلى ناحيته وكان شوشة من هؤلاء الطلبة الذين تعلقوا بأهدابه ، وتوثقت عرى أحمد شوشة بالإخوان خاصة أن صلات ما قامت بينه وبين عدد من كبار الإخوان بمحافظة دمياط التي ينتمي إليها حيث ارتبط تنظيميا بالحاج أسعد رهران مسئول الإخوان بهذه المحافظة الفريدة إخوانيا ، كما أنه - الحاج أسعد رهران - أحد القيادات التاريخية للجماعه واحد أكثر المرتبطين تنظيميا بالحاج مصطفى مشهور ، وبعد ان التحق شوشه بالإخوان وسبر غورها أصبح من المرتبطين بالشاطر تنظيميا خاصه بعد أن جمعتهم منطقة واحدة هي منطقة مدينة نصر وبعد أن أصبح الشاطر ملء السمع والبصر وصاحب قرار داخل الاخوان أصبح أحمد شوشة مدوره صاحب موقع قديمة فيها فأصبح مثلا مسئول منطقه مدينه نصر ثم مسئول قسم التربية عن محافظة

القاهرة

أدركت من أول وهلة أن هذه الزيارة التي باغتني بها شوشة وراءها ما وراءها . فقلت في نفسي وعلى جبهته الحبر اليقين "

حدث المهندس شوشة في حديثه معي بطل في مقدمات أدركت منها أن هناك مستجدات من شأنها أن تعكر الماء حينما ولكني تركته يتحدث بكامله لمدة المحنة دون أن أقاطعه حتى صمت أنني بخبره الذي جاء من أجله صدر قرار من المرشد يا أخي الحبيب بمنعك من الخروج من بيتك حتى تنتهي الانتخابات وساد الصمت لحظة إذ سلب الذهول عقلي للحظة ثم ما لبث الدهشة أن علتني حتى سيطرت على فؤادي ثم انقلبت الدهشة إلى ابتسامة وكادت الابتسامة أن تتحول إلى قهقهة كبيرة ترج حوائط البيت لولا أن عاجلت نفسي وتحكمت في انفعالي واعتصمت بالصمت حتى لا تفضحني تلك القهقهات المكبوتة . وفي الوقت الذي كنت فيه أعالج ضحكاتي كان المهندس شوشة ينظر إلى وجهي متفرسا عله يرى أثر الخبر الذي ألقاه على سمعي وبعد فترة من الصمت استطرد المهندس شوشة قائلا أعلم يا أخي الحبيب أن هذا القرار ظالم ولم يسبق له سابقة في تاريخ الإخوان وأن وكل أخ ذل في مدينة نصر مرفوضة لكنا جميعا لا نملك شيئا أزاء هذا القرار ولا نستطيع إلا السمع والطاعة ثم ارتسم وكأنه تذكر القرار ساد تفعل في إخوان من المحامين لقد توصلوا للحاج مصطفى بك كنت تحارب قائمة الإخوان . وقالوا له إن هذه الحرب من شأنها أن تؤثر في نجاحهم وأنت تعلم أن الحاج مصطفى مريض وليس في إمكانه أن يتحمل الإلحاح وبعد ضغط بعض الإخوة أصدر هذا القرار ... وأكمل قائلا كلنا يعلم أن هناك في الإخوان من ارتكب موبقات منحس السحر المتوسط ومع ذلك لم يصدر ضده مثل هذا القرار ونحنا نريد هنا في منطقتنا أن نضرب المثل على الالتزام وثبت لإخواننا وقدرتنا أننا نسمع ونطيع حتى ولو كان القرار ظالما وأنت ستضرب لنا جميعا المثل وستكون هدوئنا في السمع والطاعة وتنفيذ هذا القرار خاصة وأن مدته ستة أيام فقط وكلنا يا أخي الحبيب يثق في أنك ستستعيد بحسن طاعتك على أن ترد كيد إخوانك من المحامين .

و ستطرد مشجعني على الطاعة اذكر يا أخي أنني سمعت قولا من سيدي في الإخوان ضن ساكنا في فؤادي بل أعتبره دستور حياتي هو

لأخ بين يدي مرشده كالميت بين يدي مغسله يقلبه كيف يشاء ولندع لواحد منا رأيه فإن خطأ مرشده انفع له من صوابه في نفسه

اختلطت في قلبي مشاعر متنوعة إذ فكرت أن أقول له مالي ومالكم . كيف طاوعني عقلي أن انضم لجماعة هذا هو تفكير قائدها الأعلى ؟!! راودتني نفسي أن أقول له قل لمرشدك إنه حول الجماعة إلى تنظيم خاص وأنه آن لي أن أمد قدمي لأترككم تنهلون من عسكريتكم التي قسمتم بها وجه الجماعة أف لكم وما تتبعون إلا أنني طردت كل ما اعتمل في فؤادي حيث حدثتني نفسي قائلة فلأسايره للنهاية حتى أرى ما في جعبتهم ثم قلت له بصوت خفيض وأنا أصطنع الهدوء ولكني أعمل يا أخي الكريم في المحاماة ولي مكتبي الذي يجب أن أذهب إليه يوميا وعندي العديد من القضايا التي يلزم أن أتابعها وأحضر جلساتها بنفسي وهذه القضايا هي محض مصالح لعامة ناس ارتبطت معهم بعقود والقرآن يحضنا على الوفاء بالعقود فالله سبحانه وتعالى قال لنا في كتابه الكريم (أوفوا بالعقود) فكيف أنقطع عن هذا وكيف لا أذهب إلى عملي الذي هو مصدر دخلي وقوتي وقوت أولادي فذهابي فقط للمكتب يضمن لي دخلا ماليا من الاستشارات أعتبره هو الأساس عندي ؟ أتعقل هذا ؟ .

اختار المهندس شوشة بطبيبه المعهودة في الجواب ولكنه مست بالهاتف واتصل بالمهندس ممدوح الحسيني الذي كان وقتها مسئول منطقة حديثة نصر وطلب منه أن يستأذن الحاج مصطفى مشهور في أن أذهب فقط للمكتب ولجلساتي في المحكمة . إلا أن الحاج مصطفى مشهور لم يأذن رغم وجاهة الطلب إذ كان يتصرف وكأنه الحاكم والقائد الأعلى تجاه أحد الجنود الذين خالفوا قواعد العسكرية الصارمة وهنا عادت ذاكرتي القهقرى عندما كنت أخطو قدما في سلك الإخوان آباء وجودي بمنطقة الزيتون في النصف الثاني من الثمانينيات عندما تم التحقيق مع الأخ عمر التلاوي - وقد كان وقتها مسئولا عن إحدى الشعب الإخوانية - لأنه تجرأ وخرج عن أوامر قيادات منطقة شرق القاهرة التي كانت تلزم الجميع بالتصويت للحاج مصطفى مشهور في انتخابات شورى الإخوان" مع أن فلسفة الانتخابات تقوم على الاختيار الحر لا على التكليف والأمر وإلا فقد التصويت قيمته ونظرا لأن الأخ قد صدّق أن التصويت يتم بشكل حر فقام بإعطاء صوته لآخر كان يرى

انه يستحق أكثر من مصطفى مشهور مكانة الطامة الكبرى وتم وقفه لمدة عام وتجريده من درجته الإخوانية .

وتذكرت الأخ فوزى الجزار المحامى رحمه الله لدى كل شخصيته إخوانية لها حضورها الطاغى والمؤثر فى منطقة إمبابه وكان عضو بمجلس نقابه المحامين الفرعية بالجيزة وحدث ان قامت روحيه فى جلسة مع لاخوات باسقاد تصريح سياسى للحاج مصطفى مشهور فوصل لانتقاد عن طريق لجاسوسات لقيادات الإخوان التى طلت فى أمر صارم تجرد من لشاعر من الأخ فوزى تطبيق روحيه التى خرجت عن جاده الصواب وانتقدت الحاج مصطفى فى جمع من الأخوات " وعندما رفض الأخ ما طلبوه قامت الجماعة بفصله ومحاربته فى رزقه واصرت كل الإخوان بسحب قضاياهم من مكتبه .(وبعد خمس سنوات مات فوزى الجزار كمدا يتجرع جحود الإخوة

وقد كان هذا الجحود عنده - كما قال لى قبيل وفاته - اشد قسوة عليه من مرض السرطان الذى ينهر فى جسده ما زلت اذكره وهو يتجرع لحسرة فى برعه الأخير حينما قال لى وهو يغتصب ابتسامة مجهدة وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند وبعدها بأيام فاضت نفسه)

توالت هذه الذكريات على خاطرى أثناء مفاوضات الإخوة مع لحاج مصطفى مشهور . وأخيرا قبل الرجل ان اذهب للمحكمة فقط دون المكتب فقد أقنعوه أن عندى قضايا هامة يستحيل تركها فوافق بشرط ان يرافقنى أحد الإخوة فى الذهاب للمحكمة والإياب منها . وان الحاج أيضا - رحمه الله - تكرمة منه أن أخرج من بيتى لصلاة الجماعة على أن يكون ذلك بالمسجد القريب من بيتى " ، ومن عجب أننى علمت فيما بعد أن قرار حظر الخروج ومنع التجول كان خلفه اشارة من العقليات الأكاديمية العلمية فى الجماعة من المتخصصين فى علم الجيولوجيا هما الدكتور محمد حبيب والدكتور رشاد نيومى أعضاء مكتب الإرشاد " فهل للجيولوجيا وفروعها علاقة بهذا القرار العسكرى " هذا أمر ينبغى أن يخضع لتحليل وتنقيب

لا شك أن هذا القرار العرفى وهما الناظر فى تاريخ الجماعة هو أعجب وأغرب القرارات التى صدرت فى تاريخ الاخوان ، ومن قدر الله أن كان هذا القرار من نصيبى فلعنته كما أتلعف كره ملبسه من نار إلا أن هذه نكرة

النارية أكدت لي بما لا يدع مجالا للشك أن الجماعة انقلبت إلى وجهها الذي كان مستترا عني وعن كثيرين غيري. كنت قد دخلت الإخوان من أجل نهج دعوي دون أن أحفل ببعض مظاهر تنظيمية تحض على الطاعة إذ ظننت - كما ظن غيري - أن الفهم مقدم على الطاعة وأن الطاعة هي طاعة محبة لا طاعة عسكرة وأن العمل الدعوي يشفع طاعة مدروسة في قاع الجماعة، ويكفي أن الدعوة تغلغلت في شرايين الجماعة إذ كان ظني أنها جماعة مدنية وأظن أنها كانت كذلك إلى أن سيطر عليها ذلك الفريق الذي قال عنه الدكتور السيد عبد الستار المليجي - القيادي الإخواني البارز - فيما بعد (إنهم مجموعة خطفت الجماعة)، وقال عنهم المهندس أبو العلا ماضي (الإخوان طائرة تم خطفها من أفراد التنظيم الخاص)

كان إعلان الحكم العرفي الصادر بمنعي من التجول لمدة ستة أيام داعيا إلى تعقيب وتنويه المفكر الإسلامي الدكتور محمد سليم العوا في جريدة الأهرام إذ كتب يوم الاثنين الموافق ٥/٣/٢٠٠٨ وهو يحلل نتيجة انتخابات نقابة المحامين «وقد وقف تيار إسلامي كله بثقله وتنظيمه المحكم، في أوساط المحامين يؤيد الأستاذ رجائي عطية وحين تصرف بعض المحامين المنتسبين إليها في الجولة الأولى على غير مقتضى موقفها المعلن طلب منهم وامتثلوا أن يعتزلوا الناس كافة فيما بين جولتي الانتخابات، ويلزموا بيوتهم حتى لا يؤثر سلوكهم في موقف المحامين الآخرين من الجماعة نفسها»

أسرعت إلى الدكتور توفيق الشاوي أستشيره وأبثه لواعج نفسي وأحكي له ما حدث من جماعته أو بالأحرى ما حدث من جماعتنا، وكنت قد ذهبت إليه قبل وبعد انتهاء المحاكمات العسكرية عدة مرات ووجدت منه استنارة فريدة وحكمة بالغة وسعة أفق، إلا أنني انقطعت عنه منذ آخر زيارة لفترة طويلة لم أره فيها ولم أتحدث معه، وعندما تصاعد دخان الأحداث وصدر المنع من التجول تحرقت شوقا لإخباره بالمستجدات حتى أن سيارتي كانت تستبق الزمن وأنا في الطريق إلى بيته وكأنها مثلي تتحرق شوق له، أنصت الدكتور بعمقه المعهود ثم قال: كاد الهلع أن يصيبني من هول ما سمعت يحدث الآن ما تخوفت منه يا بني. لقد تم عسكرة الجماعة رغما عن أنفها، ثم تمتم قائلا بصوت منجوح: وكأنما لم يكن لدي شك أن الجماعة على يد

نجاح مصطفى ومن هم على شاكلته الفكرية في طريقها الى العسكرة فهكذا نشأ الرجل وعلى هذا جُبل هو وهم

قلت له وانا اضغط على الحروف بصوت خفيض يكاد يرتعش من التوتر ولكن الا يوجد في الجماعة من يقف ضد هذه العسكرة ؟ أليس فيهم رجل رشيد ؟

قال الأستاذ وقد استصحب في قوله سنين خبرته وتجربته لن يتمكن الإصلاحيون من الوصول إلى ما نصبو إليه إلا إذا حل جيل محل جيل وهذا امر يصعب تحقيقه مع تلك المعادلة الفكرية التي اجتاحت قلب الجماعة ليس في طوق أحد الآن ان يجري تعديلا بالشكل التنظيمي المتعارف عليه نحتاج يا بني إلى ثورة تنظيمية وفكرية. ثورة تعيد الجماعة إلى قلبها الأصلي

قلت بشغف أتقصد ثورة يقودها جيل الشباب من اجل ان يصل إلى المقاعد العليا .

قاطعني ليس الشباب هنا مرحلة سنية ولكنه نمط في التفكير ومنهج وعقيدة فأولئك الذين يقصدهم غرسوا مفاهيمهم الدخيلة في عقول الأجيال الجديدة فأصبح الجديد كالقديم وكأنك تقلب الجورب على وجهه الآخر ولكنه ما زال هو هو نفس الجورب

نظرت إلى بروار معلق على الحائط الأمامي يحتوي على صورة نادرة للشيخ حسن البنا وظلت النظر فيها ثم قلت له الم ينشئ حسن البنا ذلك النظام الخاص الذي افرز تلك النوعية التي نقصدها والتي عسكرت الجماعة ؟

قال الأستاذ من الظلم لحسن البنا ان نجعله قديسا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلقد اخطأ البنا في اشياء كثيرة إلا ان من كتب تاريخ الاخوان من جماعتنا كتبوه بعقلية المريد لا بعقلية الباحث لذلك يتكرر الأخطاء

لبنا أخطأ لاشك في مسألة التنظيم الخاص وقد اعترف لي ولآخرين قبل موته بهذا الخطأ وقال (لو استقبلت من امري ما استدبرت ما انشأت النظام الخاص)

قاطعته بأدب وأين يكمن الداء الآن يا أستاذي ؟ لا اظن أن الجماعة فيها تدريبات عسكرية الآن

عادت إليه الابتسامة وهو يقول ليست العسكرة هي التدريب على السلاح

ولكن العسكرة نمط في التفكير وآلية في الادارة وآيات العسكرة كثيرة

قلت له وأنا أرشف الشاي مثل ماذا ؟

قال دعك من قرار منعك من الخروج من بيتك فهذا كشف عن الداء العسكري الذي أحاط بالجماعة ، ولكن قرار حظرك هذا لم ينشئه آيات العسكرة يا عزيزي تظهر قبل هذا وذاك في انعدام قنوات الشورى داخل الجماعة واختفاء الحوار الحاد ، وإفراغ الساحة الداخلية لمن يقدمون الولاء العاطفي فهؤلاء وحدهم هم أصحاب الحق في الترقي ، مما منح الفرصة لنماذج انتهازية خالية من أي قدر من الكفاءة لكي يكون لها موقع الصدارة في الجماعة في كافة التشكيلات، وهاهم أولاء يمنعونك من الخروج من بيتك لأنك اختلفت معهم في الرأي .

قلت مؤكدا أرى أيضا يا أستاذنا الحبيب أن الشكل التنظيمي يقترب من الأشكال العسكرية فعندنا قيادة و جنود ، كتائب و مخيمات ومعسكرات، و مفاهيم ترفع من شأن الطاعة والثقة وكأننا جحافل من الأمن المركزي فهل الأمر بحاجة لهذه العسكرة؟ هل نحن في مواجهة مع استعمار ؟ لسنا يا سيدي الأستاذ كتائب شبه عسكرية المفروض أننا جماعة مدنية دعوية فكرية ولن نحصد من العسكرة إلا القمع والمواجهات الأمنية والاستغراق في خصومات لا طائل من ورائها، و لم نعد قادرين على تحمل كلفتها الباهظة

قال الأستاذ معقبا لقد قال لهم المرحوم محمود عبد الحليم(١) مثل ما تقول الآن وكان جزاؤه الإبعاد عن أي موقع وكان التلمساني رحمه الله يؤمن بهذا ولكنهم أحكموا الخناق على الجماعة واستلبوها لأنفسهم . وأنا نفسي أين تراني ؟ رغم تاريخي وسبقي في الجماعة إلا أنني أجلس في ضفة وهم يجلسون في ضفة أخرى وما ذلك إلا لأنني أؤمن بغير ما يؤمنون به .. أنا صاحب عقلية مدنية وهم أصحاب عقلية عسكرية وهنا اختنق صوته أو كاد وقال وهو يحاول أن يرفع صوته هاهي الأيام تؤكد أن الجماعة قد تم خطفها وعسكرتها .

١- الأستاذ محمود عبدالحليم كان من الرعيل الأول للإخوان المسلمين وكان رفيقاً لحسن البنا وكان صاحب فكرة شعار الإخوان المسلمين وله المؤلف المعتمد من الإخوان في التاريخ للجماعة إلا أنه في آخر حياته كان قد ابتعد - أو أبعد - عن مهامه ومواقعه التنظيمية لأنه تبنى أفكار تخالف أفكار مجموعة القضيتين التي أحكمت سيطرتها على الجماعة

بعد انصرافي من عند الدكتور عقدت العزم على رفض قرار حظر التجول إذ ليس هناك مبرر يدعوني إلى قبول مثل هذا الاستبداد إلا أن اتجاه تفكيري تغير عندما اخبرني احد اصدقائي من المحامين الاخوان عن امر نوى أن يفعله محمد طوسون فقلت في نفسي ان للرمح أن يرتد إليهم وفي المساء ذهبت للمهندس ممدوح الحسيني في مكتبه الهندسي بمدينة نصر وكان عنده وقتها المهندس احمد شوشة وقلت لهما بعد أن اضمرت ما في نفسي سأطيع القرار وسأنفذ ما طلبتما مني فاستبشرا خيرا وقبّلاني

أصبحت في الإخوان من أهل الخطوة

كان صبح اليوم التالي قد أوشك على الرحيل حيث بدا في سحب بساطه الذي تغلفه برودة محببة ولم تكن الشمس قد توسطت السماء بعد حينما امسكت بالهاتف وحدثت المهندس ممدوح الحسيني

أخي الكريم اريدك أن تمر عليّ بالبيت لأمر غاية في الخطورة

ـ على الرحب والسعة أخي الحبيب سأمر عليك إن شاء الله قبل صلاة العصر ولك أن تتحدث معي بما شئت ثم سنذهب بعد حديثنا لصلاة العصر في مسجد موسى بن نصير القريب من بيتك ان شاء المولى عز وجل

ـ جزاك الله خيرا

وسرعان ما حضر المهندس الحسيني قبيل موعده المضروب يُبدي بحميمية واضحة ومحبة زائدة رغبته في الاستماع لما عندي

برح المهندس ممدوح الحسيني الى مدينة نصر من منطقة حدائق القبة حيث كان مسئولا عنها وما إن حل برحله إلى مدينة نصر حتى اصبح المسئول الأول عنها . وكان أمير ما يميز المهندس الحسيني انه يحمل قدر من العلم الشرعي فقد تخرج من هندسة عين شمس في اوائل السبعينات ، ثم سافر إلى المملكة السعودية للعمل وهناك التحق بالاخوان وعاد إلى مصر ليلتحق بعد ذلك بالأزهر الشريف ويتخصص في احد العلوم الشرعية وبذلك جمع بين تخصصين الهندسة والعلوم الشرعية . ولم تمر اشهر على عودة الحاج مصطفى مشهور من خارج البلاد عام ١٩٨٦ بعد خمس سنوات من الغربة حتى استطاع استقطاب العديد من الشباب إليه والذين كانوا معه بمثابة فرسان المعبد . كان المهندس ممدوح الحسيني هو أحد هؤلاء الفرسان

من الشباب الذين تقاطروا خلف مشهور يرفعون سيوفهم التنظيمية في مواجهة كل من يريد ان يفوّض اركانهم

بعد عبارات الترحيب المعتادة قلت للمهندس الحسيني وأنا أقدم له كوب الشاي وقطعة الكيك لقد عرفت من بعض اخواني من المحامين الإخوان أن محمد طوسون ومعه بعض الاخوة المحامين من فريقه سيقدمون عقب الانتخابات شكوى جديدة ضدي للمرشد وسيدّعون فيها أنني خالفت قرار نجاح مصطفى المتضمن منعي من الخروج من بيتي وسيزعمون انني خرجت وذهبت للنقابة يوم الانتخابات ووقفت أدعو ضد قائمة الإخوان " فماذا ترى يا أخي ؟

أمسك المهندس الحسيني كوب الشاي بيد مرتعشة وكان رعشته تعبر عن ضجره من هذه القصة التي اقحمته فيها القيادات دون حول ولا قوة منه إلا أنه قال وهو يتصنع الحكمة إنك تتحدث عن أمر مستقبلي في عالم الغيب حيث لا يستطيع احد ان يجزم به ولا ان يؤكد وقوعه ولا اظنهم سيفعلون ذلك إلا إذا خالفت القرار بالفعل ، هم في الأول والآخر إخوانك ولا يتبعون إلا صالح الدعوة فلماذا ستتعقبونك بالشكاوى ؟ اراك مغاليا في توقعاتك يا أخي الحبيب

قاطعته قائلا هذه ليست توقعات ولكنها معلومات ثم اردفت ومع ذلك سأقترح عليك اقتراحا

— تفضل

— أظن أن الشكوى التي أعرف يقينا أنهم يعدون لها من الآن سيتم تقديمها للمرشد وستكون عن مخالفتي للقرار في يوم الانتخابات ، والمسألة بسيطة يا أخي اقترح ان اقضي معك يوم الانتخابات في مكتبك الهندسي من الصباح باكرا وحتى آخر الليل حتى تكون شاهدا بعد الله سبحانه وتعالى على موضع وجودي في يوم الانتخابات، فإن تقدموا بشكوى سينصح للجميع انهم يكذبون كما يتنفسون وقتها سأطلب حقي منكم جميعا ، وإن لم يتقدموا بشكوى كما تظن فلن يخسر شيئا يكفيني شرف الوجود في معيتك في هذا اليوم .

لم يكن امام المهندس الحسيني إلا ان يوافق على الفكرة فورا إلا أنه أضاف اقتراحا بأن انوي الصيام في هذا اليوم وأكمل قائلا إن الصالحين

من عباد الله سبحانه وتعالى يحاربون المعاصي بالطاعات وما تحدث في بقية المحامين بيكم الآن هو من اعلى المعاصي ولذلك يجب أن تعود بالطاعة ثم ستطرد سنفطر معاً في هذا اليوم ثم نسهر في المكتب لصلاة العشاء على ن نصلي مع مجموعة من الاخوة سيحضرون لكنني اذاك ثم سيمكثون معي بعد انصراف لبعض شانهم البطيئي

و ضاف أنه سيقوم باطلاع المرشد بحر هذه الفكرة حتى يستأذن منه في خروجي من نيب يوم لانتخابات للمكوث معه إذ تقتضي القواعد ان يتم الحصول على موافقة المرشد لإضافه هذا الاستثناء .

كان لابد مما ليس منه بد . رغم أنني كنت قد عقدت العزم على أن اخفي الأخبار عن مختار نوح وعن باقي الإخوه في مجلسهم إلا أن تطور الأحداث دفعني إلى كتابة خطاب يحتوي على كل التفصيلات كبيرها وصغيرها و ستطعت بطريقتي الخاصة ان أرسل له هذا الخطاب بعيدا عن اعين الرقيب الأمني داخل السجن وقد احتوى خطابي على شرح تفصيلات قرار لمرشد بمنعي من لخروج من البيت لأسبوع ثم شرحت مبررات قبولي لقر ر واصفت في نهايه الخطاب ذلك الذي انتويته بقصد يوم الانتخابات في مكتب لمهندس ممدوح الحسيني وشرحت لأسباب التي دعتني لاتخاذ هذ لقرار

وجاء يوم الانتخابات...

كان شهر فبر ير في هذا العام يُعبر عن فصل الشتاء حير بعبير وكأنه ممثله الشعبي ومبدوبه السامي إلا أن يوم الرابع والعشرين منه كان كريما كأحود الكرماء إذ لم يرد أن يحوض المحامون غمار انتخاباتهم في جو بارد فارسل فبر ير سراح اشعة الشمس في هذا اليوم ليصبح الجو دافئا جوّ دا ولعل بعض دفء انبثق من سخونة تلك الانتخابات التي اشتعل أوارها في نقابة المحامين .

وما ان ظهرت بشائر الصباح برفل في السماء حتى احدث مصطفى ذهبت إلى مكتب المهندس ممدوح الحسيني الذي لم يكن قد حضر بعد ، و شغلت بقراءه القرآن إلى ان حضر الرجل فحدثا بجانب اطراف احاديث ثم تركني وانحرط في أعماله أما أنا فقد شغلت وقتي طو ل اليوم بقراءة القرآن وعند اذان المغرب صلينا جماعة مع بعض الاخوه حيث شاركت

بعضهم في صفام الافطار وكان منهم الأخ صادق الشرقاوي الذي تم حبسه في وقت لاحق في القضية العسكرية التي حبس فيها خيرت الشاطر و لمعروفة بالقضية رقم ٢ لسنة ٢٠٠٧ . وبعد صلاة العشاء جاء الخبر اليقيني بأن الاقتراع في النقابة قد انتهى وان لي ان استرد حريتي وان أغادر المكان فقد انتهت مأساة الاقتراع هذه الخطر وانقضى سبب منع التجول وأصبح من حقي ان أخرج كما أشاء وامارس حياتي كما يحلو لي

نجح سامح عاشور نقيبا للمحامين وتحققت قائمة الإخوان بأكملها !! فأصبح عاشور نقيبا بلا مجلس وأصبح المجلس مجلسا بلا نقيب فقد بدأ الشقاق بين الفريقين وكأنهما فريقان يتصيدون

وبعد يومين طلبني المهندس الحسيني حثيثا واستسمحني في زيارته بمكتبه فذهبت إليه بعد أن كنت قد ولجت وجهي شوب مكتبي

وما إن شاهدني أقبل عليه حتى بادرني قائلا حدث ما تخوفت منه

ـ كيف ذلك

تقدم طوسون ومعه اخرون من إخوانك بشكوى صدق قدموها للحاج مصطفى مشهور

ـ يا لله وماذا قالوا في شكواهم ؟

الذي يوقعته أنت قالوا إنك خالفت القرار وخرجت من بيتك يوم الاستفتاء وذهبت سفارة ووقفت تدعو ضد قائمة الاخوان وأن بعض الإخوان حاولوا مناقشتك للعدول عن مسلكك إلا أنك رفضت الاستماع لهم

ـ الحمد لله نهدا يا اخي الحمد ظهر الحق عيانا بيانا وعلى ان الحاج مصطفى عرف نقيبا أن شكواهم كاذبة فقد كان يعلم أني في مكتبي يومها

قاطعني الرجل قائلا مهلا يا اخي فهناك أكثر من ذلك

ـ ما هو ؟

لقد أحضروا شهودا من الاخوان المحامين ـ أحدهم صار عضو بمجلس النقابة ـ يشهدون انهم رأوك في النقابة وتحاشول في أمر دعاوتك ضدهم وقد شهد هؤلاء بهذا في حضرة الأستاذ مأمون الهضيبي نائب المرشد واقسموا على صدق شهادتهم

قلت ضاحكا لا أظن انني من اهل الخطوة أو أن لي قدرة على التواجد في مكانين في ان واحد فالقدرة لا تعلق بالمستحيل

فبادلني الضحكات وقال في كلمات حاسمة والله لن أتركهم وسيلقون غيا (وغياً هو واد في قعر جهنم)

كان ظاهر الأمر يوحي بأن أمواج اليم العاتي قد سكنت إلا أنني لم أكن أعلم وقتها أن بحر الإخوان يخفي العجائب التي لا تنفد والتي لا يمكن أن ترد على قلب بشر

الزيارة في العبارة

كان يوم الجمعة الذي جاء ينهادي بعد يوم الانتخابات يوما غير عادي ، فقد تم فتح أبواب سجن طرة لتدلف إلى داخله سيارة مرسيدس فضية اللون تحمل في داخلها شخصين يرتدي كل منهما نظارة سوداء ، أما الشخص الأول الذي بدا طويل القامة مشرئب العنق ذا شعر رمادي فقد كان سامح عاشور الذي أصبح نقيبا للمحامين ، وكان الشخص الثاني الذي بدا مكتنزا بعض الشيء ، أبيض الوجه بحمرة تداعبها خصلات شعر أشقر فقد كان عاطف عواد .

وقفت السيارة أمام سجن ملحق مزرعة طرة الذي يقضي فيه الإخوان عقوبة الحبس في قضية النقابيين ، وأمام السجن كان في انتظارهما ضابط أمن الدولة الذي هش لاستقبالهما واحتفى حفاوة خاصة بنقيب المحامين الجديد ثم قادهما إلى داخل السجن من أجل زيارة خاصة شديدة الأهمية ليس من أجل موضوعها ولكن من أجل أصحابها فالزائر هو سامح عاشور نقيب المحامين وبرفقته عاطف عواد الإخواني السابق والوسطي الحالي أما المزور فهما مختار نوح وخالد بدوي وهما من هما كان عاشور يحمل في يده علبة كبيرة تحتوي على تورته قام بتقديمها لنوح وخالد بدوي احتفالا منه بنجاحه العسير ، ودار حوار طويل بينهم حكى فيه عاشور تفصيلات المعركة ودقائقها وكان خالد بدوي حريصا في كلماته على أن يؤكد لسامح عاشور أنه لولا ثروت الجرناوي ومن معه لما نال عاشور نجاحا أو فلاحا وعاشور بطبعه كان يقلل من أهمية دور هذا الفريق قائلا لقد منعوه يا مولانا من الخروج من بيته .

ولكأنما كان لسان حال عاشور يصرخ (إنما أوتيته على علم عندي) وكأن هذه العبارة هي سبب حضوره ليؤكد أنه غير مدين لأحد

فبادره خالد بدوى بكلمات عربية فصيحة وهو يطرق إلى الأرض

والله الذى نفسى بيده إن جهد ثروت الحرباوى وعاطف عواد ومن كان فى ركابيهما كان هو الأمر الفارق فى الانتخابات ولا نستطيع أحد أن ينكر ما تعرض له الحرباوى من مضايقات من أجل دعمك وقد كنت أنا وإخوانى هنا فى السجن ندعو له ونبارك عمله بحسبه من المخلصين والله حسيبه ولا نزكى على الله أحدا .

وظل خالد بدوى لا ينى يكرر مثل هذه الكلمات يرد بها على عبارة عاشور التى كانت هى السبب الباطنى للزيارة رغم أن الواقع يثبت أن من فى السجن لم يكن لهم أى شأن بالتفصيلات التى استجدت فى المعركة فلم يكن لهم علاقة من قريب أو بعيد بوقوفى مع عاشور ضد رجائى عطية ، بيد أن خالد بدوى كان يستهدف من باب التكتيك إفهام عاشور أنه لم ينجح إلا برعاية ودعم وأمر المساجين من الإخوان وأن ما صدر من ثروت الحرباوى كان بالاتفاق مع من هم فى داخل السجن لعل هذا التكتيك يؤتى أكله ذات يوم فى تنسيق نقابى أو توفيق بين الأطراف المتصارعة فى النقابة إذ لابد أن يكون أحدهم رمانة للميزان أو من فريق الحمائم إذا كان هناك فريق الصقور . وكثيرا ما كنا نستخدم هذا التكتيك مع سامح عاشور فى مرات لاحقة كما كنا نستخدمه مع غيره من الطامحين لكرسى العضوية . هكذا هى السياسة وهكذا هى دروبها وطرقها

لم يكد خبر الزيارة يتسرب حتى اشتعلت الشعل فها هى النار تتأجج من جديد فى قلب محمد طوسون الذى اعتبرها مؤامرة تضامنت مع المؤامرة التى اختلقها خياله عن محاربتى لقائمة الإخوان ، وظن الرجل أن مختار نوح يتفق وهو فى سجنه مع سامح عاشور من أجل تشكيل هيئة المكتب لمجلس النقابة وهيىء له خياله أن هناك تدبيرات محكمة من أجل إبعاده عن أى موقع قيادى بالمجلس ، واستمرأ ظنه واعتقد أننى عرّاب هذا الاتفاق وأنى كنت المرافق الثانى لعاشور فى زيارته تلك (1) .

وكأنهم أصبحوا كساعى البريد لا ينفك عن تكرار ما يفعله بشكل يومى بلا ملل ولا كلل زارنى الأخ فلاح سرور وأنبأنى أن طوسون قدم شكوى أخرى ضدى وزاد فى شكواه أننى اصطحبت سامح عاشور لزيارة مختار نوح فى السجن " وأننى كتبت مقالة فى إحدى الصحف اتهمت فيها بعض قيادات

الإخوان بعقد محاكمات عسكرية لأفراد الجماعة

ولم نكد ننتهي من قوله حتى بادرته هاتفا هذا تخابط لا يليق ولا ينبغي للإخوان أبدا أن يستمعوا لمثل هذا الكلام وإنا أعجب من أداء الإخوان التي تصغي لهذا بل وتستجيب أليس هناك في أمة الإسلام والمسلمين ما يستحق اهتمام الإخوان أكثر من الغزل والقال الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم . وأعاد الأخ فلاح على مسمعي رجاءه الذي استحثني عليه من قبل أن أتفرغ له في الشقة وفي هذه المرة قلت وكأن لسان حالي يقول «مرغم أخاك لا بطل» .

استراحة المحارب

مع امتداد العمراني هجرت منطقة التجمع الخامس الصحراء الجدباء واقتربت شيئا من تخوم مدينة نصر ، وقد ساعد الطريق الممهد الذي نم شقه يسار (مقبر مدينة نصر) على سهولة التنقل بين الحين وكأنهما جسدان متدخلان في جسد واحد . ومع طفرة العمران انتقل الكثيرون من إخوان مدينة نصر بل شرق القاهرة كلها إلى منطقة التجمع وكان من المنتقلين ممدوح الحسيني مسئول مدينة نصر وبانيه رفعت الحواط نائبه بعض اعضاء مكتب الإرشاد وقتها مثل مهدي عاكف ، وكان هؤلاء هم أول من حمل متاعه وريشه وهط رحاله هناك . مما دعا قيادات شرق القاهرة في التنظيم إلى تحويل هذه المنطقة من الناحية الجغرافية التنظيمية الى شعبة جديدة من شعب الإخوان المسلمين تتبع منطقة مدينة نصر إلى ان تقوى وتشتد عودها فتتحول إلى منطقة قائمة بذاتها في مستقبل الأيام . وبدأت مدينة نصر تولي هذه الشعبة أهمية خاصة ، ولا غرو فهي شعبة ستشهد سكن مهدي عاكف عضو مكتب الارشاد الشهير - وقتها - عندما ينتهي من إتمام البناء الذي يشيده هناك وستشهد أيضا أموالا سيجذرها التنظيم على الأراضي والعقارات وسيتطرون عليها ذات يوم وبعد ان تكون الشكل التنظيمي للشعبة رأى بعضهم أن تقوم شعبتنا بدعم هذه الشعبة الوليدة ، واقترح فلاح سرور أن اقوم بصفتي رجل قانون بالقاء سلسلة محاضرات قانونية في الكتائب الإخوانية التي كثر تعدادها في التجمع لتثقيف الاخوة بما لهم وما عليهم من الناحية القانونية إذا تم القبض وقبض عليهم اعتقالا او على ذمة قضية من قضايا الاخوان العديدة و عدت بالفعل هذه المحاضرات

وجعلتها تدور حول التصرف الذي يجب أن يقوم به الأخ عند القبض عليه أو عند تفتيش منزله وحقوقه القانونية وما ينبغي عليه قوله أثناء تحقيقات النيابة معه أو أثناء استجوابه بمعرفة مباحث أمن الدولة . وكان يصاحبني في هذه المحاضرات الأخ ممدوح الحسيني بحسب أنه مسئول منطقة مدينة نصر كلها والأخ فلاح سرور . ثم قمت أثناء ذلك بإدارة وترتيب عدة كتائب انعقد بعضها في بيت المهندس ممدوح الحسيني وكان المحاضر في إحداها الدكتور عبد المنعم تغلب أحد قيادات الإخوان التاريخية وكان وقتها مسئول منطقة شرق القاهرة كلها أما موضوع المحاضرة فكان عن "تعظيم المحرمات" . لم يكن الأمر قاصرا على التجمع الخامس وأهله فقط فقد عقدت في بيتي عدة كتائب للإخوان حضر إحداها الدكتور سيد عسكر الذي كان وكيلا للأزهر الشريف وأصبح فيما بعد عضوا بمجلس الشعب . وحضر في أخرى الأستاذ محمد عبد المنعم مسئول الإخوان وقتها بمحافظة الإسكندرية وفي ذات الوقت طلب مني بعض الإخوة في منطقة شبرا الخيمة إلقاء محاضرات عن تاريخ مصر الحديث وقد قمت بتوسيع نطاق هذه المحاضرات وتنقلت بها ومن أجلها إلى العديد من المناطق الإخوانية بالقاهرة والقليوبية . وانشغلت بمحاضراتي هذه عن المحامين ونسيت أيامهم ولكن يبدو أن هناك من ظل يتذكرني ! وعلى حين غرة من الدعة والهدوء عادت السفاسف من جديد

الفصل السابع

مسجون فى قلعة الإخوان

«وكأن عمر الإنسان سفينة استوت على الماء لا يملكها إلا من خلقها وبث فيها الحياة ولا يديرها ويوجه دفتها إلا صاحبها ، وكأن قلب الإنسان كنز من المشاعر فإذا تألم تأوه وإذا تأوه عرف الناس ألمه لكنهم لن يشعروا بقدر الألم الذي يعانيه» .

سجن ملحق مزرعه طره هو أحد السجون الدينه لسجن طرة العمومي إلا ن له خصوصيه تميزه عن باقي السجون وتجعله وكأنه احد عقود مصلحة السجون فقد خل قصرا على استقبال المساجين السياسيين وعلى الأخص مساجين الإخوان المسلمين فضلا عن المساجين من رجال الأعمال و لشخصيات ذات الحساسيه ، بعد من الناحية الإنشائيه فهو عباره عن مبنى قديم مقرا مدفعا من الخارج بحيث انه يخلو من اى نحته جماليه معمارية إلا انه اقرب شبها لفيلا سكنيه عملها اصحابها وفرطوا في رونقها حتى أصبحت بالية المظهر يتكون هذا المبنى العتيد من طابقين كل طابق به عشر حجرات ـ زنازين ـ ملحق بكل حجره حمام خاص لها وتتسع الحجره الواحدة لأحد بالكاد وقليل من حجرته يتسع لخمسة افراد على على تقدير عندما تدخل إلى هذا السجن المتعرل للزياره تقابلك حديقه كبيرة عدد اردت بعدد من الأشجار والمزروعات لنادره التي تصعب على المكان قدرا من بهجته و نضاره الجماني وان ان معظم ن مساجين الإخوان ـ خاصه هواة الزراعة منهم ـ قد ساهموا في زراعه العديد من نباتات في هذه الحديقه وكتب بعضهم اسمه على بعض الأشجار من باب الذكرى بحالة كما قاموا بتحديث الحجرات وتنظيفها وطلائها وعمد حماماتها بالبلاطات وتزويد حجرتها بأجهزة التليفزيون كما قاموا بكتابه كبيرة اعتنوا فيها العديد من دجاير الكتب وبقايس المواقف وقد عدلت إدارة السجن على جعل هذا الملحق هو سجن مخصص لمساجين الذين صدرت ضدهم عقوبات اما سجن المزرعه نفسه فهو الذي يستقبل المحبوسين احتياطيا

كان نوح ومجموعه من الإخوان قد نقلوا من سجن الاستقبال بطرة ـ ذلك السجن الذي قضوا فيه فتره الحبس الاحتياطي ـ إلى سجن الملحق الذي استقر بهم المقام فيه عدة اشهر عقب صدور عقوبه الحبس ضدهم . ولم يكن من حظي بعد انضمامهم للملحق زياره اى و حد منهم لا مرة و جده بسمة

حيث زرت فيها محمار نوح وخالد نعوى وقد أفصحت في تلك الزيارة لهما عن لواعج نفسي وشكوت حسودا وقسوة كانت وكانها بين الإخوة وبينهم وحكيت لهما باستفاضة عن تلك المواقف التي واجهتني من الإخوان خارج السجن وحبسني أنفسهم في داخلي وكانني سجين الإخوان المسجون في قلعة من قلاع التعذيب وعكرت الماء الذي كان يجري رائقا رقراقا بيني وبينهم ، واظهرت لي الوجه الحقيقي لبعض قيادات الجماعة ـ ذلك الوجه الذي ما فتئ هذا الفريق يخفيه عن الجميع ويريدني من اجل إخفائه ألف قناع ـ ثم تقصعت الزيارات بعد ذلك لفترة إلى ان حدثت فجأة انفراجة في زياراتي للاخوة فقد استطعت زيارتهم تسع مرات في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٠ على غير العادة وكان هذه الزيارات كانت تعويضا سخيا عن فترة الغياب ، وكل شيء عنده بمقدار

صدقكم القول ان هذه الزيارات لم تكن مجردة من الأهداف والغايات ولم تكن هدفها بث الشجون والمشاعر ومؤازرة الاخوة في محبسهم ودعم معنوياتهم وتعزيتهم فقط ، ولكن كان مرامها في المقام الأول مناقشتهم في بعض دعوى قضائية رأيتها ـ وما زلت أرى ـ أن فيها لهم من أجل الافراج عنهم

كان أول العبث الذي تصورنا انه يمكن ان يعاد هو صدور حكم من المحكمة الدستورية العليا بعدم دستورية نوعية من الجرائم التي كانت مؤثمة في قانون العقوبات وهي جرائم (الانفاق الجنائي) وكان يحدونا الأمل ان يستتبع ذلك الحكم الدستوري على الفور بقية الاخوة فتتم الافراج عنهم

وجاء بعد الحكم الدستوري ما يسمى انقضاء بمضي مدة العقوبة ، وقد انقضت بمقتضى حق رئيس الجمهورية في الإفراج عن المسجون إذا كان حسن السير والسلوك وكنا سنرقب مع هذين الأمرين مرور ثلاثة ارباع مدة العقوبة التي يعطي الحق للنائب العام في الإفراج عن المسجون وإنهاء العقوبة وفقا لشروط تتوافر في حق الإخوة جميعهم وكنت قد أعددت بحثا قانونيا مطولا عن هذا الحق واقترحت عليهم أن أقيم دعوى بخصوصه عندما يحين الحين ويأتي الأجل المحدد .

ولأن الزيارات كانت في محملها قانونية ثقيلة الظل ـ إذ كانت استفسارات قانونية فيها يستعرفنا حتى يصدر ما ضابط السجن ويحد في الغياب ـ

فقد اقتصرتُ فيها على مقابلة مختار نوح وخالد بدوي بحسب أنهما محاميان وأننا جميعا سنخوض في القانون ، وبعد مناقشاتنا المستفيضة طلبنا مني الإسراع في إقامة تلك الدعوى القضائية التي تمخضت عنها أفكارنا يطلب بالإفراج عنهم لعدم دستورية المادة التي تم حبسهم بمقتضاها وطلبنا أيضا أن أقيم دعوى أخرى بطلب الإفراج عنهم بمرور نصف مدة الحبس ، وكان خاتمة ما طلباه أن أضع اسم محمد طوسون على صحف تلك الدعاوى !! وكان هذا الطلب قد أثار امتعاضي إلا أنني وافقت عليه دون مناقشة ، فهذه هي رغبة أصحاب القضية ولا بد أن لهما ضروراتهم .

وأنهى مختار نوح جملة الطلبات قائلا : لابد يا أخي العزيز أن تحصل على تصريح زيارة جديد لمقابلة كل مساجين الإخوان المحبوسين معنا حتى يكون هناك إقرار نهائي من الجميع يدفعك إلى أن تمضي قدما في إقامة الدعوى الثالثة التي تتعلق بالإفراج وإطلاق السراح عندما يحين موعد انقضاء ثلاثة أرباع مدة العقوبة

وبعد أن انتهت الزيارة وذهبت إلى حال سبيلي حدث ما لم يكن في الحسبان وما لم يجر على خاطري أبدا

طارق الفجر

في الهزيع الأخير من الليل حين سجي انتظارا لرسل الشمس ، وقبل أن يصنع الظلام أوزاره ويهمد خلف قافلة النور ، وقبيل أذان الفجر بهمسة انتفضت من نومي على طرق رتيب على باب بيتي لم يكن الطرق ثقيلا متواصلا فينبئ عن طبيعة الزائر ولكنه كان خفيفا رقيقا يدل على أن صاحبه جاء على استحياء كأنه يكاد ينصرف إلى حيث جاء ، وعندما فتحت الباب وأنا أفرك عيني وجدت أن الزائر هو الدكتور حسن عبد الحليم وهو أحد قيادات الإخوان المسلمين في المنطقة كما أنه في ذات الوقت نقيب أسرتي الإخوانية ، وقد أثارت هذه الزيارة المفاجأة دهشتي واستغرابي التي وصلت إلى حد الجزع

والدكتور حسن عبد الحليم صيدلاني من جيل الوسط يحمل قلبا رقيقا ومشاعر مرهفة وعاطفة دينية مشبوبة وقد اشتهر بين أقرانه بالالتزام والجدية والدقة المفرطة في تنفيذ التعليمات التنظيمية ، حيث يعتبر الكثيرون من

الإخوان ـ وفقا للآلية والمناهج التي فرضوا عليها ـ أن صلاته الصلوات واشقه عليهم عبادة لله سبحانه وتعالى ، وكان قد تعود الفجر على موعد معين كي يلحق في صلاة الفجر في أي من مساجد الحي إلا أنه لم يحدث أبدا أن يصلي مرتين في مثل هذا الوقت دون اتفاق مسبق

ودون أن يدخل إلى الشقة طلب مني الزميل الإخواني أن ينتظر ثواني قليلة حتى يلحق بصلاة الفجر جماعة في أحد المساجد بالحي ، وفي سيارتي ونحن في الطريق إلى المسجد ، تبرع الدكتور حسن بالصعود ولم يمض وقت قصير حتى سمعته وأشعر بتلاوة بعض آيات الصبح حتى وصلنا إلى المسجد المنشود ، كانت نفسي قد حدثتني ونحن في الطريق إلى المسجد أن هذه الزيارة فرصة سانحة لشرف الأخ حسن في نفسه ولم يتردد إلى وقتها ، وبالفعل صدق حدسي فما إن انتهت الفريضة وقرعنا من إتمام الصلاة حتى التفت الأخ إلى ناحيتي وقال لي وهو يكاد يهمس : يا أخ ثروت ناعمدري بقيت في الأسرة طلب مني الأخ ممدوح الحسيني أن أبلغك بأن هناك جلسة تحقيق ستنعقد مثل صباح اليوم في مكتبه لساعة الثامنة صباحا ويجب أن تكون حاضر في الموعد المحدد للأهمية

فقلت له وقد عراني القلق واعتورتني الدهشة : هكذا فجأة ؟ أليس من المفترض يا دكتور حسن أن تكون هناك تمهيدا ؟ أليس من العدل أن يتم حضوري قبل التحقيق بوقت كاف ؟ ثم ما هي التهمة ما هو موضوع التحقيق ؟ ثم استطردت وكأنما أحدث نفسي

من هذا الذي يجب أن يفتش في قلبي ويخترق ضميري ويحاسبني على ما أعتقد

نعم أحدكم سفينة حياتي حتى تشاركني في إثارة فوضى وتوجيه دفة أفكاري

ما هذه النفوس التي جُبل البعض عليها وكأن قلوبهم قدت من الحديد وعُلفت من الصخر

أليس فيهم رجل رشيد ؟ أم أنا شجعناهم عندما وضعنا بين أيديهم تلك السبحة المشئومة التي كبلوا بها شرايين قلوبهم

وضع يعقوبي يده على كتفي وكأنما يحنو علي وقال بنصف ابتسامة وقلة حيلة : ربما أنت على حق يا حبيبي في موضوع التهمة ، ولكن أعذرني فمهمتي

مقصورة على إبلاغ ما موعد والمكان

وقد تقدت التكليف قدن ان اني سك بالخصاب معقود د. قلبس لي في الأمر حيله

ثق بن لجماعه كالام ترعوم لن يحدالك ، وإن حدثك سيكون كلد معن لن يفعل حدنا ان تتعرض لظلم وإن ظلموك فسيكون الجماعة حسند قد هجرب حيريتها وفتها سنهجرها وتعارف إلى غير رجعه

سكرته بالقصاب و تصرف هو إلى بعض احوه من شعبتنا كدو ستطرومه عن قرب و تصرفت بدوري و د اخبر في د كرني عن سبب دفعهم الي احالتي للتحقيق إلا ن يكون سببا منهم في اماضي القريب الذي لم يغدر قلوبهم وقمع مسطرا لحظة سانحه

محكمة إخوانية

بحجرة مكتب المهندس ممدوح الحسيني حيث تتناثر الخرائط الهندسية وتختلط بكتب بها بكار الصباح والمساء، وكتب عن تاريخ الاخوان ، في مقر شركته للمقاولات بكائنه في عقار شاهق بشارع لرئيسه بالحي شامن بمدينة نصر كانت محاكمة وكانت المحكمه خمس لحاج جودة شعبان رئيس المحكمه بن لعضوين ممدوح لحسيني عضو لنمين ومجدي عبد الله عضو اليسار ما نحاج جودة فهو نائب رئيس منطقه شرق بقاهره وهي من كثر اعضاء الاخوانيه بساعا وعددا واهمية كما به احد قاده الرعيل الاول من الاخوان وكان قد حكم في قضيه محاولة عبان عبد الناصر عام ١٩٥٤ لمعروفه بحادث منشيه حيث حضع وقتها لمحكمة عسكريه قدمت به في لسجن سنين عديده فقد كان وقتها من رجال التنظيم لخاص وقد لبث في سجنه الى بدايات لسبعينات حين افرج عنه لرئيس السادات مع من تم لافراج عنهم من الاخوان ، وهو رجل في واخر لعقد لثامن من عمره صامر بوجه بحمر الجسد نضربه الصبيه بان العدسات السميكة تخفي نصف وجهه تقريبا ، به لحيه خفيفه وبرندي خله صيفيه شاحبة اللون نبدو من سنه انه لم يبل حظا من التعليم توقف عن التعليم قبل الابتدائيه . وكان في مقتبل شبابه وسابق دعوته قد تخرج في منهه لصناعه كفاهر سنبط الى ان تم سجنه في منتصف

الجمسيات ثم التحق بشركه الشريف للملاسبك في منصف لسعينيات
بعد ن خرج من محبسه الى ن خرج على المعاش نصهر من حديثه صحالة
حبقه الثقافيه ومحدوديه فقه اما عصو السر لأخ مجدى عبد الله فهو
متوسط بقصر متوسط الطول بميل جسده بلامتلاء يرتدى حله صيفيه رمادى
بسبه الحه التى يرتديها فرد الامر فى الشركات بخاصه و لبول لم
يستمع استكمال تعليمه بعالى فاكتفى بالحصول على شهادة فنيه متوسطه
عمر بقترب فى شركه الشريف للملاسبك لى ن تفوض سلطه فيجرف
ى مشروع خاص شركه فيه بعض الاخوان ف وقت المحكمه فقد كان
يشغل موقعا قياديا متميز فى الجماعه تنو به وبمسئوليه العضويه من
ارجان ولى فهم والادراك وهو مسئول منطقه مصر بجديده التى تضم
صفره بصفوة من لاخوان وزبده مثقفيها اما عصو لبجن فهو المهندس
ممدوح الحسينى مسئول مدينه نصر

عندما بقيت عليهم السلام بابتسامه موجوعة عاتبت نفسى فى د خلى او
لاجرى عاتبتنى نفسى واوجعتنى ، كيف دلله علت نفس هذ بعثت
بعثت السخيف ؟؟؟

انت مسلوب لارادة الى هذ الحد ام بك تعودت على قبود سجنك حتى
اصبح السجن هو الحياه ؟

بس من الاكرم لك ن بستحب من هذه لبغضه انهيه ؟

هل لهم لى ابعث وانصرف و اتركهم فى غيهم بعمهون

هى سلاسلهم التى قيدتك فسلاسلهم النجسة لا قيمة لها فهى كقيص
بريح و كسراب خادع سادح

وعلى عكس ما دلت عليه نفسى الثائره جلست امامهم هادئا طبقا لا حول
ى ولا قوه وكأن خضوع الانسان للقيود و لاغلال التى ألفها واستكان لها
هى ، تطمس فيه نزعه الحريه وتجعله يستلس لقيد وهكذا يستصيغ العبيد
قيادة شعوبهم .

فش بحاج حوده فى وجهى وقام بهشتم راند بسفينى وبقه عصاه
بحكمة الدس فبلوا كتفى بصالحه عبر مفهومه ثم دار حديث قصير بين
عن حوس لحو و برحم و لواصلات والدى الحاج حوده بزمله من وبده
لاسعار وما لبث الحديث ن بنصف حول بقيه بجتمعى واحوالها

و بتحاباتها الفنية ونجاح الإخوان فيها . وعند هذا الموضع قال الحاج جودة وهو يتعمد عدم النظر ناحيتي : ما هو موضوع خلافاتك يا أخي مع إخوانك في النقابة

قلت له و أنا أنظر إلى موضع قدمي : هل هذا السؤال مجرد دردشة ؟ أم أنه تحقيق أو محاكمة ؟

قال وقد بدا عليه الانزعاج : محكمة ماذا والعياذ بالله ، أنا في مقام أبيك وهؤلاء إخوانك ونحن نتحدث معك لأن هناك شكوى مقدمة ضدك . و نوك الحاج مصطفى أمر بتشكيل لجنة لمتابعة هذا الأمر و الوصول لوجه الحق فيه ونحن أعضاء هذه اللجنة

فأطعته بابتسامة : يعني يا حاج جودة أنتم لكم سلطة توقيع جزاء على المخطئ ، هه ؟

قال بثقة : نعم

تابعت الحديث قائلا : إذن أنتم محكمة

تدخل الأخ مجدي عبد الله قائلا : ولكن محكمة يا أخي فما الضير في ذلك ؟

قلت دون أن أنظر إليه : الحقيقة هناك قواعد للعدالة حض عليها الإسلام يجب أن تتبعها المحكمة

فبادرني الحاج جودة : لا إله إلا الله ، وهل نحن خالفنا الإسلام يا أخي الحبيب

استطردت : ينبغي أن يتم إخطاري بالمحاكمة وموضوعها قبل الجلسة بوقت كاف لأعد دفاعي فلا ينبغي أبدا مفاجأة الشخص بمحاكمة لا يعرف أسبابها ، و كملت ثم إننا تحدثنا باستفاضة من باب الدردشة والمودة قبل البدء في المحاكمة عن الانتخابات في النقابة فإذا كانت المحاكمة ستتضمن تلك الانتخابات فإن حديثنا عنها باطل وهو في الشرع استدراج لا يجوز

وهنا تدخل ممدوح الحسيني قائلا : ليس استدراجا يا أخي الحبيب يجب أن تحسن الظن في إخوانك

قلت وكأنني غائبة : لا علاقة لحسن الظن بما أقول ولكنها قواعد عامة يجب أن تتبع

فرد معقبا : عموما يا أخي سنعطي لك الفرصة التي تريدها في حد هذه

الورقة فهي تحتوي على موضوع الشكوى المقدمة ضدك وسنعقد غدا في ذات الموعد والمكان جلسة اخرى لاستكمال الموضوع وستكون هي الجلسة الختامية إن شاء الله

خطفت نظرة سريعة مدفعية الى الورقة فوقع نظري على عدة اتهامات منها اتصالي بالمفكر الاسلامي دكتور سليم العوا وترددي على جمعية مصر للثقافة والحوار التي يرأسها وصلتي باعضاء حزب الوسط ، ومخالفتي لقرار منعي من الخروج من بيتي الصادر من الحاج مصطفى فاعتبرتني من جملة هذه الاتهامات دهشة تاريخية لا اظن ان احدا اعتبرته مثلها من قبل لا انني تجاهلت ما قرأت وقلت واريد ايضا ان تطلعني على ما قدمه اصحاب الشكوى من ادلة ضدي حتى ارد عليها وافندها فالبينة على من ادعى واليمين على من انكر

قال الحاج جودة مندهشا أنا هذه فلن تستطيع ليس من حقك الاطلاع على ادلتهم ولكن قل ما عندك وقدم ما لديك من ادلة يكفي ان تعرف انهم احضروا شهودا من الاخوان شهدوا ضدك امامنا وشهودا من غير الاخوان كتبوا شهادتهم ووقعوا عليها .

قلت وقد تملكتني الدهشة هذا لا يجوز يا حي ابدا سماعك للشهود في غيابي يخالف قواعد الاسلام في المحاكمة منذ مواجهة الخصم ومواجهة الشهود من بروميات المحاكمة العادلة ثم من المفترض ان ارد على شهادة هؤلاء الشهود فكيف ارد على ما جهلت اصله وطبيعته وفحواه ؟ هل هذه عدالة ؟ وهل ما يحدث هنا له علاقة بالاسلام ؟

قال الحاج جودة دون ان يرمش له جفن وقد نفد صبره والله هذا هو ما عندنا وهذه تعليمات من الحاج مصطفى بنفسه ونحن لا نستطيع مخالفتها جهز دفاعك وسنتطرق في الغد ثم قام يصف قومه وهو يمد يده بالسلام ويتبعه عضوا المحكمة .

وتركتهما وانا احاول ان ابتسم عبير الحرية فقد نازعتني نفسي ان لا اعود لهم مرة اخرى ... ما أعظم الحرية .

عودة الطير إلى قفصه

الشقة التي يقطن فيها الدكتور حسن عبد الحليم الصيدلاني بقيت أسرتي في الإخوان تقع في الدور الأرضي في عقار قديم متهالك من العقارات التي شيدها أصحابها في بداية نشأة حي مدينة نصر. وقد شهدت هذه الشقة العديد والعديد من الكتائب واللقاءات الإخوانية وجلس معنا فيها أكبر قيادات الإخوان في مناسبات متنوعة، وفي حجرة المعيشة البسيطة التي تعوّد الدكتور حسن على استقبالنا فيها جلست قبالته أبحث عن كلمات مناسبة. كنت قد اعتزمت ترك الجماعة بشكل نهائي ورأيت أن ألقي على مسامعه ذلك الأمر الذي انتويته. وإذ كنت أبحث عن مدخل لائق للحديث بادرني وهو يقلّب السكر في كوب القرفة على فكرة: أنا معك في أنه يجب أن تعرف كل تفصيلات الشكوى وأدلة إخوانك التي قدموها ضدك. فإخفاء هذه الأدلة عنك ليس من العدل، كما أنه يعتبر لك.

قلت متعجبا: هل عرفت؟

قال مؤكدا: نعم جلست مع ممدوح وعرفت تفصيلات ما حدث بينكم اليوم.

قلت وأنا أتناول منه كوب القرفة: وما رأيك؟

قال وهو يقلب صفحات كتاب النقطة من على المنضدة متشاغلا به: هذا تهريج يا أخي.

ما هذا الذي يحدث بين الإخوة؟

لماذا نقطع لحم بعض؟

تبدو أن الدنيا أحدثتنا وغربتنا.

ما يحدث يرفضه كل صاحب قلب سليم.

ثم ناولني الكتاب الذي كان بيده قائلا: هذا كتاب قد رج السالكين لابن القيم اقرؤه بإمعان لعله ينير أمامك الطريق ويفتح في قلبك مجالات للعفو عمن طلبت.

قلت وقد استقر في فهمي أنه أدرك غايتي من زيارتي فأراد بكلماته هذه أن يقطع الطريق أمامي حتى لا أجد أي قرار يجمع بي خارج الجماعة. أشكرك. وقد سامحهم وأعفو عنهم ليس في هذا من شك. ولكني أذكر تلك الكلمات التي قلتها لي عقب صلاة الفجر من أن الجماعة إذا سارت في

طريق لعلم يكون قد فقدت حريتها اظن انه ثبت ان بحماعه تسير في طريق الظلم يا دكتور

فقال منهوبا من الامر ... ثروت يا حبوب انا وانت وكلنا نرفض ما يحدث لكنها مجرد حاله فرديه لا يصلح للقياس عليها اما الظلم الذي يقع لجماعة حزبيها فهو الظلم اذا عم

فصفعته بالسيجاره صدفشه انت حاله فرديه وليست حالتي فقط ، ويستطيع ان احكي الآن عشرات الحالات في منطقة شرق القاهره فقد لم يراع فيها الجماعه قواعد العداله ثم انصرفت في الحديث حتى لا يدع له فرصه لمقاطعتي وكنت لن اتوقف ابدا .

عندما اجاب الدكتور حمدي عبد العاطي الذي كان حاضرا في معسكر من معسكراتنا وشاء حسنة النبي فان ترفيعه في تسيير ... الحاج مصطفى مشهور بركب العديد من الأحصنه، بسبب كبر السن وبداية كان يسير خلفه بحصان على هذا الكلام ثم يقوم بالبلاغ اخونا فوق يحتمر هذا الذي قاله حمدي الذي هو مخبر ري من خلفه ان يتدخل ويمنع عقب ذلك اخاه احمد حمدي بمطاردة حوالي حيث خلق معه احد اخوه من المحامين من عضوية مجلس نقابه ثم صدر القرار الذي يقضي بتجريد حمدي من موقعه كعضو في مكتب الاداري بشعبه عقاب له على ما قال رايا من قبل حزبه .

ويعرف بت صفعا حمر حتى من الاحزر من شرق القاهره ، صلا شركاء سنوات في شركه تجاريه وحدث ان قدم احدهما بسرقه بعض الأحمر في شركه فاشتكاه المسروق للاخوه فقدم الاخوة عقب الشكوى بتحايه الامر بحكمه حوده وتابعه فيها الدكتور عبد المنعم فدرس امين صندوق نقابه لاطباء، وكان معه في هيئه المحكمه المرحوم مامون منصور المحامي الاخواني معروف ومعهما احد المحامين من اعضاء مجلس النقابة و صدرت بحقه قرارات بتدمير السارق ادانه صريحه قاطعه الا ان الامر لم يرق لصهر السارق الذي يشغل موقعا قياديا كبيرا في منطقه شرق القاهرة . وفور رفيق عمر الحاج حوده وتابعه في اسفله . فقام الاخوه بنقض هذا الحكم ارضاء للرجل وشكلت محكمه اخرى برئاسه الحاج حوده و سحب المحاكمه في حكمها الجديد الى تعديل الحكم الى ان الحسابات فقط عمر متصفحه وان السارق بعدم ضبط الحسابات احد ما ليس له من حق دون ان يعلم ان ما

احده ليس من حقه ، وانه يجب على الأخ المسروق ان يستعوض الله فيما احده السارق وان سنجه الحكم سيظل سريه لن يتم يشرف على الإخوة لعدم المساس بسمعه السارق وعندما اعترض المسروق المحتى عنه على هذا وقال " سيستعوض الله بلا شك ولكن إذا صح ان يكون جنسات لمحكمه سريه إلا ان الحكم يجب ان يكون علنيا وهذا من قواعد لعداله في الإسلام ، فلم يقبل الإخوه ذلك فيما كان من الأخ المسروق المحتى عنه المصوم إلا ان هجر الاخوان بي غير رجعه هل هذا عدل ؟

وعندما لم يحسن ان يقاضيني استطردت دون ان لتفت لمقاطعته واوضح الإخوة الذين حضروا معارض استع العمرة بنفسه المهندسين بمعرض مباشر من لرشد وليس بأمر مباشر من مقتب المهندسين فاصبحو من صحاب الملايين ... هل هذه عدالة ؟

وما حدث منا بحاء الاخوة مجموعه حرب لوسط وتلك بحرب غير العادلة التي وجهنا سهامها بحوهم حتى ان المستشار لهضيبي قال لنا في بقاء هنا بعدنيه بصر بني أستطيع ان جعلهم يسيرون في الشارع بلابيص هل هذا عدل ؟

والقرار الصادر من لحاج مصطفى مشهور بإصدار الدكتور السيد عبد ستار المحتى ليس من الاخوان لمجرد أنه عقد ندوه فكريه في مكتبه وقام احد لحاضرين في الندوة من غير الاخوان بانتقاد سياسات الجماعة وانتقد بصرامحات الحاج مصطفى التي اسفها فيما يتعلق بالحريه و لاقساط فكان جزاء من اقدم لندوة ان طردوه من الجماعة شر طرده بلا حلاق وهو من هو في لسبق و لفضل حيث قدم لجماعة عمره كله .. فهل هذا عدل وهل تلك حيريه

وكلما اقرغت حزنا من شحصي توقفت عن الكلام لفقط النفسي ، وهنا يحدث حبس نهدوء فاتلا ان معك في كل ما قلت ومع ذلك فهي حالات فردية لأنني سنطيع ان اسرد عليك الاف المواقف الطيبه للجماعة ، وفي الفقه يا حي طالما ان المحاسبه لم تغير طعم او لون ماء لطهور فهو طاهر ، وظن أن ما حدث لا يمكن ان يحبس هذه الجماعه و نفس حيريتها رغم اعتراضنا عليه .

وصمت اكتب حديثا وقت وقد ارتفعت نبرة صوتي دون قصد مني ، هذا

قياس مع الفارق يا دكتور ، وحتى لو اتفقت مع قياسك جدلا فإن الحقيقي يذهبون إلى أن هناك من الحاسات ما تحس أشياء الظاهر حتى ولو لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته ، ومع ذلك من قال إن الفساد لم يطرأ وإن العلم لم يعلم ؟ يا عزيزي نحن في منطقة شرق القاهرة هل تعرف ما معنى شرق القاهرة ؟ ثم استطردت وأنا أضغط على الحروف بسرعة حادة شرق القاهرة هي قلب الإخوان قلب الإخوان النابض وما يحدث في القلب يمتد إلى جسد الجماعة كله ينتمي إلى شرق القاهرة أقدم لك حتى تمسك خيوط الجماعة وتحركها كما تشاء يوجد هنا مصطفى مشهور ومأمون الهضيبي ومهدي عاكف ومحمود عزت وحبيب الشاطر وعبد المنعم أبو الفتوح وحسن مالك و محمد شوشة

قال حسن مهدومة الاعتبار وهو يقاطعني و ستطيع أنا أعتقد أن كمل لك الخبر هذا أو فقط ولكن ما معنى هذا الاستدلال ؟

خفضت وقد انخفض صوتي معناه أننا منطقة تحت الشمس فلسنا في منطقة محصنة في دهاليز كفور ومخرج مصر لا يعلم حد شيئا عما يتم فيها إذا أردت أن تعرف ما يحدث في الأطراف والأوصال فانظر إلى القلب ما يجري هنا من مخالب ومفاسد ثم تحت سمع وبصر قيادات الإخوان بكبيرة ليس تحت سمعهم وبصرهم فقط ولكن بموجب أوامرهم بعض الأمر مني من الخروج من سجن مثلا أو أمر بمقاطعة مجموعة الوسط وعدم السلام عليهم و من طرد عضو البستان المليجي وغيرها من الأوامر التي تصحح من الجسم هذا يدل يا سيدي على أن رأس السمكة فاسد وجماعة فاسد من رأسها كالسمكة فإذا فسد الرأس فسد الكل هذا يدل على أن الإخوان الذين وضعنا فيهم الأمل في الإصلاح يحتاجون إلى إصلاح

ثم قلت متفعلا و يا ليتني لم أتحدث ما رجال الإصلاح ما صلح بلد من يصلح الملح إذا الملح فسد ؟

نظر لي الدكتور حسن وقد انعدم تحمله أمل الا انه قال ناصر دون أن يتنفس من فيصلح ما ملح ولعد لماء إلى طهوريته نحن نحتاج ونحتاج عقلية مثل عقليتك لتصلح الجماعة هل تقبل أن تترك جماعتك في يد من يفسدها ؟

وكنت أحدث نفسي قلت وقد انعرورقت عيني بالدموع أخشى أن طلبك

على وهم الإصلاح أن نستيقظ ذات يوم فنجد قطار الجماعة قد مضى بعيدا عنا وسار على قضبان الفساد ونحن لا نملك إلا أن ندهسنا القطار إن اعترضنا طريق فساده، وفيها سيرجمنا الركاب الذين يغمضون عيونهم عن الحقيقة، وسيظنون أننا نحارب الإسلام لأننا في نظرهم نقطع دابر جماعة تدعو للإسلام

قال مرفق وقد اغرورقت عيناه بالدموع كرجع لدموعي لن نحدث هذا وسنكون معاً .. إذا تركت الجماعة سأتركها معك فكن معنا الآن ولا تتركنا واحضر جلسة المحاكمة غدا ولن يستطيع أحد أن يفعل معك شيئا

قلت وقد تحولت دفة اقتناعي إلى وجهة لم أطلها سأبقى وسأحضر

وسبحان مقلب القلوب خرجت من بيت حسن مفعما بمشاعر متناقضة مضطربة تراوحت بين تلك الفرحة الطفولية التي تنتاب الفرد منا حين يمارس الخسارة والإقدام وهو يواجه الفساد وكأنه في مغامرة من المغامرات اللذيذة الشيقة وبين خوفي من المجهول الذي قد تتمخض عنه الأحداث إلا أن حب البقاء والمواجهة غلب على رغبة الخروج والخوف من المجهول فتولد عندي إصرار بالبقاء في الجماعة ومواجهة طغمة الفاسدين لا أنني لم أكن أعلم ما أخفاه القدر من غرائب لا يتوقعها عقل أحد من الأسوياء

استكمال المحاكمة الإخوانية

أمسك الحاج جوده بقارورة المسك وأشار لي إشارة تعني أن أقرب إليه يدي، وعندما قدمت له اليمنى دعك على ظهر كفي بتلك الكرة المستديرة التي تعلو القارورة فانساب عليه قدر من المسك

— جزاك الله خيرا يا حاج وطيبك يطيب الجنة إن شاء الله

— نحن وإياكم إن شاء الله

ابتسم المهندس ممدوح الحسيني وهو يقول ابسط يا عم لقد نلت بركة الحاج وهي بركة لو تعلم لا ينالها إلا المقربون

تضاحك الجميع وشاركتهم ببضع ضحكات مقتضبة ثم ساد الصمت بينما كأنهم يبحثون عن كلمات مناسبة يبدأون بها إلى أن فتح الله على المهندس ممدوح فقال وهو يعطي بناوية بظهر كفه أنا أرسلت من يحضر لنا طعام الإفطار دقائق وسيحضر إن شاء الله

فقال الحاج جودة بالهناء والشفاء يا صائم

وبعد برهة يسيرة دخل أحد الإخوة من شغالينا ممن يعملون في مكتب المهندس ممدوح وهو يحمل صينية عليها لفائف الطعمية والفول وعندما بدأنا في تناول الطعام قال المهندس الحسيني على الحاج جودة كي يقطع صيامه ويشاركنا إفطارنا فحمد الحاج جودة نعمة وقال مبتسما سأقطع صيامي وشاركنكم من أجل الأخ ثروت فقط ثم ردد بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار وبعد أن مضغ اللقمة وبلعها تناول واحدة أخذ ثلاث رشفات من كوب الماء ثم قال بابتسامة رضا الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين . ثم ردد وابتسامته تزداد اتساعا ثم جلس من الإخوان المسلمين .

ضحك المهندس ممدوح ضحكة إعجاب وقال الله الله عليك يا حاج ثم استدار موجها الحديث لي نعم يا أخ ثروت من عمنا الحاج نعمة في أن يكون من الإخوان يحب أن يشكر الله عليه نعمة في أن يكون مع إخوانه يسمع منهم ويطيعهم ويلين من يدهم

تبسمت دون أن أعقب وبعد أن انتهينا من طعامنا دخل أحد الإخوة يحمل صينية عليها بضعة أكواب مصنوعة من الشاي و القرفة و يبتسمون ويحوارهم قدح من الشاي لمن لم أر أن يحتسي شايه أو قرفته بالنفي وبدأت جلسة المحاكمة .

قال الحاج جودة نحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ... يا أستاذ ثروت ..

أتسمح لي أن أدعوك في أسئلتي ؟

- تفضل على الرحب والسعة .

- لقد يا أخي حالفك قرار إخوانك بخصوص استحقاقات بقائه المحامين في جرب موهرا ووقف مؤيدا لهذا الذي يدعى عاشور ضد الأخ الذي وقع عليه اختيار الإخوة ترشيحي عنه ، وكيف طاوعك قلبك أن تقف ضد قائمة إخوانك

تبسمت وأنا أعوض في عمقي كي استخرج بقاعه لصبر من دخلي ست معي الحاج أن تصوت في الانتخابات أمامه ؟

جاب الحاج جوده بصوته بخشن المرتعش ليس في هذا شك يا أخي

قلت مستطردا وشهادة ايضا

أومأ الرجل برأسه كعلامة بينة منه على الموافقة فاستكملت كلامي وهل يجوز لأحدنا أن نملي على الآخر شهادته ؟ أيجوز في حكم الشرع يا سيدي أن أطلب منك أن تشهد أمام القاضي شهادة معينة ؟ أيجوز أن يتسلط أحدهم على قلبك وعقلك ويجبرك على شهادة يريدها ؟ ترى لو قلت لك اذهب للمحكمة وأشهد بأن فلانا ضرب فلانا وأنت تحمل في جوانحك شهادة أخرى أتبيع دينك وتفتقد دنيا غيرك ؟

قال الحاج جودة مرتبكا ولكنها ليست شهادة كشهادة المحكمة ثم نظر إلى المهندس ممدوح مستنجدا ثم قال أليس كذلك يا ممدوح؟

تنحنح ممدوح وابتسم وقال متجاهلا سؤال الحاج أيعني هذا يا أستاذ أنك تشكك في اختيارات إخوانك ؟

قلت بحسم يا أخي أنا لا أشكك ولكن أتحدث عن الأصل بغض النظر عن التفصيلات هذا أمر لا يجوز أن يكون محل مساءلة أو محاكمة منكم لي لأنها شهادة وبالمناسبة في شهادة بمعنى الكلمة يا حاج ، فأنا أشهد أمام الله سبحانه وتعالى - باختياري هذا - أن فلاناً أصبح من فلاناً لهذا الموقع والشهادة يا سيدي يملكها صاحبها ولا يحق لأحد من أهل الدنيا كائنا من كان أن يحاسبني على شهادتي تلك فأنا أشهد عن نفسي ولا أشهد نيابة عن الإخوان (كل إنسان الرمية طائرة في عنقه) أما اختيارات الإخوان فيسأل عنها أصحابها أنا أشهد أن فلاناً حفيظ عليم أو غير ذلك ، ولا شأن لي بشهادة الآخرين فالله سيسألهم عنها ، ولا يجوز لأحد أن يجبرني على أن أشهد بما يريد هو هذا ليس من الدين يا شيخنا

رم ممدوح شفتيه ثم نظر إلى الحاج جودة كأنما يستحثه على الانتقال إلى سؤال آخر فتناول الحاج جودة كوب الماء ورشف منه رشفة ثم قال أشهد أحدهم أمامنا يا أخ ثروت أن الأخ مختار كان يحرضك على الوقوف ضد قائمة الإخوان من داخل سجنه وأنه اتفق معك على خطة اسمها تصدير القلق فما ردك دام فضلك

وقبل أن أجيب تدخل المهندس ممدوح قائلا لماذا يقيم الأخ مختار الدنيا ولا يقعدها بسبب حبسه يا أخي ؟

إن أعجب فعجبي ممن يملأ الدنيا صحيحا عند حبسه

أهو اول من نُحبس من الإخوان فليُحبس يا اخي هل سيُهدم

لسما؟"

ألا يعلم أن السجن هو معسكر من معسكرات الإخوان ، وان اسمه ما زال مكتوبا بالقلم الرصاص من لم يُحبس بعد من الإخوان ؟

بعد حديث من تلك السخرية الهجومية التي اظهرت لي أن هناك من أفسد قلب هذا الرجل على اخيه المحبوس فجاملت هجومه ووجهت كلامي للحاج جوده بشهد الله ، بمختار لم يحرضني على الاخوان ومن شهد بدنب كذب وهي شهادة زور وانمني أن واجه شاهد الزور هذا ولكني اظن أنه لن يقوى على مواجهتي ما عن خطة بتصدير القلق فهي خطة وضعها الإخوة كلهم في السجن وسنطيع يا حاج ان ترسل للسجن من يسأل الدكتور محمد بديع و لدكتور محمد بشر في هذا الأمر وهما أعضاء مكتب إرشاد واعلن ان ذلك لحظة من بدات فكارهما مع باقي الإخوة الذين معهما في السجن

فاستدار الحاج جودة إلى ناحية المهندس ممدوح و شار له إشارة ، معرى ثم تحول بوجهه ناحيتي وهو يقول

منذ متى وانت تعرف الأخ سليم ؟

عنت مجاملتا الأخ سليم ! من هو الأخ سليم ؟

قال مستنكرا الأخ سليم العوا "

ولكني اصحح له قلت وانا اقطب جبيني اه تقصد الدكتور محمد سليم العوا اعرفه منذ زمن فهو شخصية شهيرة فضلا عن انه من المحامين الكبار في مصر كما انه مفكر إسلامي شهير وقد كان محاميا للإخوان في القضاء العسكري عام ١٩٩٥ وما بعدها و من ان إخوانه يلجئون إليه في الملمات

تدخل المهندس ممدوح قائلا الحاج جوده يسأل عن صلتك انت به ؟

قلت متعجبا صلتي به جيده ولكني لا افهم معنى السؤال "

أجاب المهندس ممدوح يا استاذ ثروت هناك امران الأمر الأول هو ان الأخ سليم العوا نشر مقالا في جريدة الأهرام اشار فيه إلى قرار منعك من الخروج من بيتك فكيف عرف سر هذا القرار رغم انه من ، مصر سلطة تتي لا تجور البوح بها أبدا فهل بت لدى احدهم بهذا القرار اما عن الأمر الثاني فهناك من اخبرك انك تتردد على محاضرات الأخ سليم

في جمعية مصر للثقافة والحوار ولذلك نريد أن نعرف منك صحة هذا الأمر

جئت وأنا الذي تعجبني أما عن الأمر الأول فأريد أن أسأل بدوري هل قال لكم الدكتور سليم أنني أنا الذي أخبرته عن أمر منعي من الخروج من بيتي ؟

قال الحاج جودة لا لم يقل لنا ولم نسأله

فقاطعه المهندس ممدوح موجها الحديث لي ولكن منطق الأمور يقول إنك أنت الذي أخبرته وإلا من الذي أخبره إذن ؟

قلت مستفهما يعني هذا تخمين أو حدس اعتمد على منطقك أنت هه ؟

قال نعم .

قلت أهل الممكن أن يكون أحد من الإخوان ممن يرتبطون معه بصلة قوية قد أخبره ؟ هل هذا وارد أم أنه مستحيل ؟

فقال وارد طبعا أنا قلت إن ما لدينا في هذا الشأن هو مجرد حدس

قلت بحسم وهل يجوز يا مولانا في هذا الموضع ، موضع الحكم بين الناس ، استخدام الظن أو الشك أو التأويل أو التخمين ؟ (إن الظن لا يغني من الحق شيئا)

نظر لي الحاج جودة متفرسا ثم قال يا أستاذ ثروت أنت قلت للأخ سليم أم لم تقل ؟ هذا هو السؤال ؟

خطر لي خاطر بعث في داخلي نوبة من الضحك تحكمتُ فيها وكتمتُها قبل أن تخرج إلى الحياة ثم قلت أقسم بالله يا حاج جودة أنني لم أقل للأخ سليم شيئا عن هذا القرار

بدت الحيرة على وجه الحاج جودة وأخذ ينظر إلى يمينه تارة حيث المهندس ممدوح وإلى يساره تارة أخرى حيث الأستاذ مجدي وكأنما يستنجد بهما ثم قال وكأنه يتأكد أنت أقسمت هه ؟

قلت نعم أقسمت ثم استطردت وأنا صادق في قسمي

حملق الحاج جودة في وجهي لبرهة كأنما يستر عوري ثم قال سنقل نقطة الثانية هل تتردد على الجمعية الخاصة بالأخ سليم ؟

قلت وكأنني أضيف إلى معلوماته بقصد جمعية مصر للثقافة والحوار

طبعا

قال وهو يقدح زناد فكره نعم هي أليس كذلك يا ممدوح هي جمعيه لحوار والثقافة بالطبع م هذب جمعيه عبرها يا ممدوح ؟

قال ممدوح موكدا طبعا هي فلا يوجد غيرها

قلت مبتاهيا نا عضو في هذه الجمعيه وأحضر كل محاضرات الدكتور سليم وهو يعطيه محاضرات في الفقه والمذاهب الفقهية ويحدثنا عن المعتزله والاشاعره والشيعة وهي محاضرات رائعه ويا ليت الإخوان كلهم يحضرونها

تمنى ان يروني فيها يا حاج جوده و لو انه ستسمع أنما استمتاع

قال الحاج جودة متعجبا وقد بدا الاستنكار على وجهه معتزله واشاعره ماذا وهذه الاشياء يا بني هذه اشياء تعتل العقول من أين لك دراسة فلسفة الى الأزهر حتى العلم تماما كما فعل المهندس ممدوح الحسيني احول ممدوح هذه أضعاف العلم لدى عند سليم هذا يا اخي حذ من ممدوح حذ من اخوانك فهم سهلون من معين الله ومن ادرك ما معين سنا ولا تاخذ ابدا من خارج الإخوان مهما كان قدر من ستاخذ منه ثم هل سمعت من حذ من الدعاة لهذا الرجل ؟

قلت وانا اتلك في الاجابه لا لم اسمعن فهذ محض سفاه من حقي ن ادرسه كما اشاء فكما اذهب الى نادي و لي المصحف ولي الـ

قاطعني قائلا يا استاذ الا تعلم أن كل حركه من حركاتك يجب ان تكون تحت نظر الجماعة ومواقفها الا تعلم انك يجب ان تستشار في كل شيء ثم ستدار لممدوح قائلا اهملتم التربيه يا باشمهندس وعاد بوجهه الى ناحيتي مكملا الا تعلم ان الاخ سليم هو الذي حرص مجموعة الوسط على الإخوان واصبح محاضرهم ؟ فكيف تذهب إليه وقد قلت هذا ؟

قلت وأنا بدي اندهاشي معقولة !! اقول هذا ؟

وبطريقه فيها للاستنكار قال ممدوح الحسيني و لم تعلم هذا يا اخ بروت أو لم تسمع عنه او لم تقرا في الصحف عن رعايه شيخ العروبة لهؤلاء المطرودين ؟ او لم تعرف ان استشار مأمور لا يجب هذ الرجل لأفعاله تلك ؟

قلت بحسم هذه موضوعات لا نتحدث فيها ولم يشرف أحد في الجمعيه كما انني لا اقبل ان تعلب موضوع بوسط نعم ن مسالة حب استشار

مأمون له أو عدم حبه هي من حبيبة نفسه يا باشمهندس أنا لا أعلم خبيئة الأنفس وما تخفي الصدور وحتى لو كان المستشار لا يحبه مالي أنا وهذا الموضوع ؟

زم ممدوح شفتيه ثم قال دعك من الحب والكره ثم استطرد مستفهما ولكن مجموعة الوسط أعضاء في الجمعية أليس كذلك ؟

قلت ليسوا أعضاء فقط ولكن أعضاء في مجلس الإدارة أيضا هل في هذا شيء ؟

وكأنما ظن الحاج جودة أن إجابتي هذه هي الحبل الذي ألف حول عنقي . وأنه آن الأوان لإنهاء المحاكمة باعتراف رسمي فتدخل موجها حديثه للمهندس ممدوح اقرأ يا ممدوح الاتهام الثاني .

نظر ممدوح في ورقة أمامه وقال وكأنه ينطق قرار اتهام توافرت أدلة في حق الأستاذ ثروت على أنه على صلة قوية بمجموعة حزب الوسط ويتردد عليهم بانتظام وذلك بالمخالفة لقرار الحاج مصطفى وقرار المستشار مأمون الهضيبي بمنع كل الإخوة من التواصل مع هؤلاء بأي صورة ومنع كل الإخوة من إلقاء السلام عليهم أو رد السلام إذا التقوا بهم قدرا في أي مكان بلا ترتيب مسبق

نظر لي الحاج جودة من وراء نظارته متحانثا ثم قال ها ماذا ستقول في هذه يا أستاذنا أظنك الآن قلت نفسك إنك تقابلهم في جمعيتكم وطبعا تجلس معهم وتشاطرهم الحديث

كانت نظرة الحاج جودة المشوبة بابتسامة نصر توحي أنه حاصرني وأنني لا محيص سأقع في حفرة سؤاله مهما حاولت النجاة

لم أنتظر أو أتمهل في الإجابة فقد بادرته قائلا يا حاج جودة سؤالك يحتاج استفهاما مني

ـ استفهم كما تشاء .

ـ أولا أريد أن أعرف متى صدر قرار الحاج مصطفى والمستشار مأمون . ومن الذي قام بإبلاغي به ممن هم أعلى مني في التسلسل التنظيمي ولهم على حق الطاعة ؟ .

ـ صدر منذ بداية الأزمة التي تعرفها الكل ولا يجهلها أحد وتم إبلاغ المناطق كلها به

ـ عفوا يا حاج انا أعرف كل تفصيلات الأزمة واعرف عصبة اخواني على تلك المجموعة بل تعقبت كتيبة عندما حضرها الأستاذ مسعود السنجي سكرتير المرشد وشدد النكير فيها على الوسط ورجاله وعاب عليهم خروجهم عن جادة الصواب وحكى لنا عن ترفهم وتشهيرهم بالجماعة في الصحف ، والاكثر من هذا تفاصيل ومعي بعض الاخوة مع المستشار مأمون وحكى لنا امر هذا الانشقاق لكن لم يقل احد شيئا عن تلك المقاطعة فقط اخبروني عن ان الدكتور السيد عبد الستار المليجي ترك الاخوان الا اننا نحب ان نقابله بالتوقير اللازم وهو ليس من مجموعة الوسط ولذلك اريد ان اعرف من الذي ابلغني بهذا القرار ؟ في القانون يا حاج (لا عقوبة الا بنص) وفي الشريعة (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

التفت الحاج جودة للمهندس ممدوح قائلا بنفاد صبر ما الحكاية يا باشمهندس لم تخبروا الاخوة بالقرار ؟

قال ممدوح بصيغة التأكيد لا طبعا الكل يعرف فقد طلبت من كل مسئول شعبة إبلاغ شعبته .

وعلى الفور تناولت هاتفي المحصول واعدت له بطاريته التي كنت قد انتزعتها لدواعي الأمن وناولت الجهاز لممدوح وانا اقول له اتصل بمسئول شعبتي وقت زمننا مع الوسط ودعه يحضر هنا ونقسم كلانا على ما اذا كان قد أبلغني أم لم يبلغني .

فقال ممدوح بل سأستفهم منه بطريقتي .. افرغ بطاريته هاتفك مرة اخرى يا اخي ثم أمسك بورقة وقلم وكتب بضع كلمات وخرج مسرعا من الحجرة وحين عاد بعد دقيقة قال موجها حديثه للحاج جودة أرسلت احد الاخوة من العاملين يمكنني بورقة فيها هذا الاستفهام وسيحضر بالإجابة فور

تنهد الحاج جودة واخرج عليه دواء من جيبه واخذ من العلبة حبة صغيرة وضعها تحت لسانه فقال له المهندس ممدوح اجهدناك يا حاج كان من المفروض ان يكتب لنا الاخ ثروت ربوده دون اخذ ورد ومناقشة وجدل لكن اظن ان المناقشة افضل كي نستريح الاخ ونعلم ان العدل سيأخذ مجراه فلا تؤاخذنا

قال الحاج جودة وهو يردد الكلام لا انت هذا افضل لكن يا اخ ثروت لا داعي لتحميكها انت بين اخوانك ولست في محكمة يعني لا

د على الاصرار في كل نقطه على ان نناقش ونسأل عن الأدله وما الى ذلك
«اجعل نسلط احمدى وصلى على النبي وقصقص»

لم ارد عليه إلا بابتسامه عاصفة مقتضبه فعقب المهندس ممدوح قائلا بفعل يدل اثره على صاحبه يا حاج فالفهه علاله والمحاماه تركب بضميمه على احيد الحسب عموما سنستريح إلى ان نأتي الرد

شرد ذهني وانا انتظر في مكاني عودة الرسول وكأنني كنت في عالم آخر لا صله له بهذا المكان او كأني في حب سحيق منقطع عن الدنيا وما فيها ، وحين التفت يميني وخرجت بصري الى العمارة المواجهه راب قفصا للعصافير معلق في احدى الشرفات فعادت ذاكرتي لفيقري حينما قال لنا المستشار مأمون الهضيبي عن مجموعه الوسط انه يستطيع ان يجعلهم يسيرون في طرقات بلا بيض يرى لماذا كان الرجل متأكدا من سطوته واثقا في نهديدانه ... الأنه هو ومن سبقه من الاباء الاولين ممن كانوا على نهجه جعلوا من اعضاء اجتماعه مجموعة من العصافير كتلك العصافير التي راها الآن و حكموا عليهم القفص لو فتح احدهم الآن هذا القفص للعصافير فانها حتما الى مكان ولن تطير فقد اصبحت مهيضه الجناح لن تستطيع الانطلاق فهي لم تعرف الحريه من قبل ولم تتعلم تطير ولن تحاول وقعت ونهشت يبدو أنها لم تستطع الخروج من قفص الاحوان خوفا من الحريه لذلك عندما حدد والدنا سقف حجه واقنعه كنها ملاءه هواء عنها تقنعني بالبقاء في ذلك القفص ذهني الذي طرزوه بالاسلام ورسموه بالخلافه واستدارة العالم فحلموا لهم واستولوا على مشاعري وهكذا وقع العصفور سجينا في القفص وقع حينما استلموا مشاعره وتدعدعوا عاطفته وحاسيسه العصبه شفقه ورد يدخن لواحد منا الى القفص يصبح بضعه منه حتى نروح من الاحوان ونعمل عند احد من الاحوان ولا يصادق إلا من الاحوان ويتزوج شقيقه أو يشتريها من احد من الاحوان فيكون حارة حوان ورمله في العمل إخوان وصهره إخوان وهلم جرا يعيش في دائرة من الاحوان لا يعرف غيرهم ينظر الى ممدوح لحسني نفسه بدن يعتبون عنده حوان والذين يقطنون في عمارته بالحي الثامن اخوان وعندما إخوان وجيرانه حوان وهكذا بكل تفاصيلنا عن المجتمع وكأننا نعيش في حيز خصوصيتنا و سرابنا

وقواعدنا ... دولة داخل الدولة وليس تنظيما فى الدولة ..!! لذلك صدقت يا عصفورى .. لو خرج عصفورك من القفص فإن أوامرك ستسرى على الجميع ... ستقاطعه وتزدريه وستطرده من عمله وسيخاصمه جيرانه ... لذلك سيمشى فى الطرقات بلا غطاء فقد استتر بالإخوان زمنا ولم يعرف غيرهم وها هم يخلعونه .. ولكن .. ألستُ مختلفا عن هؤلاء ؟ فلماذا أراني مكبلا فى قفصهم لا أستطيع مغادرته ؟ لم أتزوج ابنة أو شقيقة أحد منهم .. وليس فى مكتبى قضية من قضاياهم تغل لى مالا اللهم إلا القضايا التطوعية التى أنفق عليها أو قضايا المجاملات التى أتورع عن تقاضى أتعابها .. ولم أسكن فى عقاراتهم ولم أجاورهم ومعظم أصدقائى من خارج الإخوان .... هيا قم أيها الطير الجريح واقفز من قفصك وطر ... أجنحتك قوية وستحملك ... أنت ما جرعت منهم إلا المشقة والأحزان وما أضافوا إليك إلا هذا القيد الذى يكبلك .. حتى أنك عندما كنت تبحر فى طريق الدعوة كنت تخطب فى المساجد بعيدا عنهم ... طر واخرج من قفص التنظيم إلى سماء الدعوة فالطير لا يصدح بالغناء الشجى إلا وهو على الأغصان حرا ..

أفقت من شرودى على صوت المهندس ممدوح الحسينى وهو يقول : صح النوم يا أستاذ ثروت .. فنظرت إليه مبتسما وتحشرج صوتى وأنا أقول : لم أنم .. ثم تنحنحت .

فقال الحاج جودة وهو يتضاحك معى : هنيئا لمن أخذ عقلك يا سيدى ... فنحن نحدثك من دقيقة وأنت سارح فى ملكوت الله .... لقد جاء الرسول بالرد يا أستاذنا

قلت بصوت خشن يشبه صوت من أفاق من غيبوبة فوجد ريقه قد جف : وأنا أنتظر من يقرأ لى هذا الرد

فأمسك المهندس ممدوح الورقة وأخذ يقرأ من خلال نظارة القراءة : بعد السلام عليكم ... قمت بإبلاغ كل الشعبة بالقرار وكان ذلك فى المعسكر السنوى للشعبة الذى تم فى رأس البر عام ١٩٩٦ ... نظر لى الحاج جودة وزفر زفرة كأنها مقدمة بركان بدأ فى الغليان .. إلا أن المهندس ممدوح أكمل القراءة وهو يتلعثم : وللعلم لم يكن الأخ ثروت حاضرا فى هذا المعسكر فلم يخبره أحد .. توقيع .. فلان الفلانى .

ابتلعنى الحاج جودة بعيون حانقة ثم قال وهو يكاد يتميز من الغيظ : ولكن

ألم تعرف خبر هذا القرار من أى أخ من الإخوة ؟

قلت بثقة : سمعت به من بعض الإخوة من عين شمس.. منطقتكم يا حاج جودة .

فغر المهندس ممدوح فاه من الدهشة ورفع الأستاذ مجدى حاجبيه بعد أن التزم الصمت طول الجلسة ثم قال وكأنه استغلق عليه الفهم : ها .. أنت عرفت إذن !! فلماذا الإنكار ووجع الدماغ والكلام عن الأدلة وما شابه ... حرام عليك يا رجل .

ابتسمت ابتسامة عريضة وأنا أنظر ناحية الحاج جودة ثم قلت له بهدوء : يا حاج ... أعطنى عقلك دقيقة ... لو جاء لك أخ تثق فيه من منطقة أخرى وليس لك عليه حق السمع والطاعة وقال لك إن الإخوان أصدروا أمرا للإخوة عندنا بعدم الإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات البرلمانية أو المحليات ... فهل ستنفذ هذا الأمر ؟

قال وهو يغوص فى تفكير عميق : لا طبعا ... يجب أن يتم إخطارى بالقرار رسميا وفقا للتسلسل التنظيمى .

قلت وأنا مازلت مصطحبا ابتسامتى أستخرج بها من داخلى ما تبقى فى قلبى من الصبر : الله ينور عليك ... هذه كتلك... أنظر يا حاج .. أنا رجل تنظيمى جدا .. إذا لم يأت لى القرار رسميا ومن الشخص المنوط به إبلاغى فلن أنفذه أبدا حتى ولو أخبرنى به المرشد شخصيا ... نحن يا حاج فى المنطقة تنظيميون للغاية هكذا تعلمنا وهكذا درجنا .

ضحك المهندس ممدوح الحسينى منهيا هذا الجزء من المحاكمة وهو يقول : عندك حق والله هذا كلام فى الصميم .

أشار له الحاج جودة كى ينتقل للجزء الثالث من المحاكمة فلبس ممدوح نظارة القراءة وتلا من ورقة أمامه " خالف قرار الحاج مصطفى المتضمن منعه من الخروج من بيته أثناء انتخابات المحامين وخرج طوال يوم الانتخابات ... وقد شهد عدد من الإخوة أمام المستشار مامون أنهم شاهدوه وهو يحرض المحامين ضد قائمة الإخوان فى هذا اليوم "

وبعد أن تلا المهندس ممدوح الشق الثالث من قرار الاتهام خلع الحاج جودة نظارته الطبية وأخذ يمسح عدستها بطرف قميصه وهو يقول : ما رأيك يا أستاذ ثروت فى هذا الكلام

قلت وأنا أرفع كتفي وأمد شفتي وأقلبهما : والله يا حاج أنا في قمة العجب والأسف والألم من وجود هذا الاتهام في هذا التحقيق إذ كان يجب على الإخوة التحقيق مع من زعم هذا الأمر الكاذب ومعاتبته.. ومع ذلك فليجب المهندس ممدوح فإني أفوضه في الإجابة وأثق في دينه وخلقه ... واستطردت بنبرة استولت عليها سحابة من الحزن : ولله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وعندما هم المهندس ممدوح بالإجابة أسكته الحاج جودة وقال وقد بدا أنه تأثر من لهجتي : أعرف يا أخ ثروت ... حكى لنا المهندس ممدوح أنك كنت عنده في هذا اليوم والحاج مصطفى يعلم هذا وقال أننا يجب أن نضع هذا الأمر في الاعتبار أثناء التحقيق معك ... والله لنقتص لك أيها الأخ الكريم وسترى العجائب التي ستبهج خاطرك وتسعد قلبك ... ولكن لي عتاب عليك .

قلت بمشاعر الابن المفعمة بالصدق والمتخمة بالحنان : اعتب كما تشاء يا حاج .

قال هامسا وكأنما يخشى أن تقع كلماته على أذن غريبة : هل يصح أن تكتب في الصحف منتقدا إخوانك ؟... هل هذه أخلاقنا التي تربينا عليها ؟ لقد كانت مقالاتك هذه جزءا من التحقيق ولكننا أغفلناها حرصا عليك وعلى وجودك بالجماعة .

قلت أبرىء نفسي : لم أنتقد الجماعة ولكن انتقدت بعض المحامين من الإخوان .

قال وكلامه يزداد همسا : الجزء يساوي الكل من انتقد البعض فقد انتقد الكل ... اسمح لي يا أستاذ .. أنت أخطأت .

قلت وأنا أستدرجه لمنطقي : هل لديك شك يا حاج أنهم ظلموني ظلما بينا ؟ لقد عاينت بنفسك ورأيت أنهم قدموا صدى شكوى كاذبة تزعم أني خالفت قرار الحاج مصطفى وخرجت من بيتي ... وليس من رأى كمن سمع ... أليس هذا هو الظلم بعينه ؟ .

ـ نعم يا بني ... أوافقك .. هو الظلم بعينه . ولكنه لا يعطي لك الحق في نقد الجماعة جهرا .

ـ كيف هذا يا حاج يا لله عليك .. إن الله يعطيني إذا ظلمت الحق فيما هو أعلى من النقد ألم يقل الله سبحانه وتعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء

من القول إلا من ظُلم وكان الله سميعا عليما)

– عموما سيكون هذا محل نظر إن شاء الله والله ولي التوفيق .. سعدنا بك اليوم وأرجو أن تغفر لنا ولإخوانك وتسامحنا ... صحبتك السلامة

وقفت وقفة اطمئنان وسلمت عليهم جميعا وقلت وأنا أهم بالانصراف : وعليكم السلام وأتمنى من الله أن تقيموا العدل .. ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى .

– سنرى العدل الذي لن تنساه أبدا وستشهد لنا إن شاء الله .

- ومتى سيصدر القرار إن شاء الله

- سيصدر أقرب مما تتوقع فدع أمرك للذي لا يغفل ولا ينام .

خرجت إلى الطريق بعد أن أمضيت ثلاث ساعات كاملة أو أكثر قليلا داخل محكمة الإخوان وكان الظهر قد اقترب فتوجهت إلى أقرب مسجد كي أصلي الضحى وأنتظر الظهر . دخلت المسجد وأنا أتحرق شوقا لمعرفة الحكم الذي سيصدر من المحكمة الإخوانية وكانت نفسي تحدثني بأنني هزمت فلول الظلم لا محالة.

www.facebook.com/ibtesama